## نحلة لا تكف عن الطيران

البر هذه الكلمة قليلة الحروف كبيرة المعاني عظيمة الأثر لا يحرمها إلا محروم بائس، ولا يمكن أن يعجز عنها أحد، هي ليست بالضرورة مالًا أو قطعة قماش أو هدايا وعطايا كما تظن ابنتي.. إنها أكبر من ذلك وأصغر أيضًا، وإلا لو كانت كذلك فلن يقدر عليها إلا الأغنياء والموسرون. البر يا ابنتي كلمة طيبة أسمعها منك، مكالمة هاتفية تصبحين بها على وجه بشوش، ومساعدة عند الحاجة ووقفة عند الكربة، كل هذا من البر وكل هذا هو أنت.

نعم يا ابنتي الغالية لا تظني أن عقدًا أهدتني إياه (سمية) أو عطرًا من (صفية) يفوقان في قيمتهما مكالمة منك في أحد الأيام الطويلة المملة.

أختاك موظفتان وليس لديهما ارتباطات مالية، السكن ملك، وما عليهم ديون وأنا أعلم بحالك، زوجك على قده ولست موظفة وما زلتما تجمعان حتى تؤمنا السكن، ومع هذا كله فو الله لم تقصري معي أبدًا.

ألست أنت التي تأتين قبل الولائم والمناسبات بيوم أو يومين تساعديني في ترتيب البيت وتجهيز مستلزمات العزومة، من الذي يطبخ الطعام، من يجهز معي الحلويات والكريمة، من يمد السفرة ويقف أمام الفرن لعمل الشاي والقهوة، إنها كلها مهمات صعبة ومتعبة تقومين بها بطيب نفس وسماحة خاطر، وأختاك أشغلتهما الوظيفة إنه لا المرض ولا الحمل يعيقك عن مساعدتي والوقوف بجانبي أنت كالنحلة لا تكفين عن الطيران ولا تعرفين الراحة في سبيل راحتي وسعادتي.

أنت دائمًا معي تساعديني في شراء مستلزمات العيد من ملابس وأحذية وغيرها لإخوانك، تدخلين معي السوق وتشيرين علي وتختارين معي بينما لا تستطيع أختاك فعل ذلك لانشغالهما بوظائفهما حتى عن قضاء حوائجهما.

أنت التي تمثلين إخوانك في تأدية الواجبات الاجتماعية، تذهبين معي وأحيانًا تذهبين بي لنزور الوالدات من قريباتنا وجيراننا ونسلم على الكبيرات من الجماعة، نعود المرضى، ونبارك لمن يعيشون مناسبات سعيدة.

إنه لا أحد غيرك استطاع أن يحل محلي حين أغيب عن البيت إما مراجعة لمستشفى أو حتى محجوزة فيه، ولن أنسى أنك كنت في البيت تراعين والدك وإخوتك الصغار وأنا في مكة أؤدي فريضة الحج مع أخوتي.

هل مازلت تشعرين بنقص وأنك أقل من أخواتك برًا بي؟!!!.

إنك الوحيدة من بينهن التي تتصل بي كل يوم، في تمام الساعة الحادية عشرة، أنتظر هاتفك تسألين عني وتحكين معي وتعرفينني بأحوالك.

وحين أهم بدعوة الجارات أجدك معي منذ ساعات الصبح الباكر تحضرين إذا أراد زوجك الذهاب لعمله، تساعدينني في عمل الفطور وتجهيز السفرة فدورية الجيران الصباحية شاقة فهي عبارة عن أطباق شعبية دسمة ومكلفة.

**عزيزتي**: إنني كلما احتجتك وجدت بقربي، أبدًا لا أشعر بحرج حين أريد مساعدتك ووقفتك معي، ثقي أنني راضية عنك ودائمًا أدعو الله أن يحفظك ويساعدك ويخلي لك عيالك ويطعمك برهم ويسخر لك زوجك ويسعدكم. وأيضًا أختاك لا تقصران فهما يسدان النقص الحاصل منهما بهذه الهدايا والمساعدات المالية، وأنت تقومين بدور كبير لا يمكنني الاستغناء عنه كما أن ذهنك خال من هموم الوظيفة لذا فأنت محط سري وموضع استشارتي فاتركي عنك هذه الأوهام واعلمي أن البر هو هذا كله حفظك الله ووفقك(*).

«واسلمي لأمك»

---

(*) مجلة «الدعوة».

## من قتل الابن؟؟

هذه واقعة حقيقة حدثت في إحدى مستشفيات معالجة الإدمان ولفرط غرابتها رأيت أنه من الأصلح أن أدرجها هنا لتلقى العبرة منها ولنقف وقفة مع أنفسنا للخطر الداهم الذي يحوم حول الأسرة المسلمة في مجتمعنا الحالي، وأترككم مع القصة:

من الحالات المؤلمة التي أدت الخلافات الأسرية إلى انتكاسها عدة مرات ورجوعها للإدمان حالة شاب من أسرة ثرية وقع في مشكلة الإدمان على الهيروين وحضر مع الأسرة للعلاج بالقسم الداخلي للمستشفي. وعند دخول أي مريض للعلاج من الإدمان يتم عمل استمارة بحث حالة لبيان حالة كل مريض على حدة ويتم منها تحديد العقاقير التي تناولها وطرق التعاطي هل عن طريق الشم أم عن طريق البلع أو عن طريق الحقن، كذلك يتم عمل فحص نفسي لبحث المشاكل التي واجهت المريض وأدت إلى دخوله في مشكلة الإدمان ويتم تحديد المشاكل الشخصية والمشاكل الأسرية والمشاكل الاجتماعية ومشاكل البيئة التي تحيط به.

ثم يلي ذلك تفتيش المريض تفتيش ذاتي ويتم كذلك تفتيش ملابسه وأغراضه المختلفة للتأكد من عدم وجود أى مواد مخدرة معه قبل دخوله إلى قسم الإدمان.

وفي أثناء الكشف شددت الأم بإصرار على أهمية متابعة الابن وأنها تعلم بأن المستشفيات النفسية يباع فيها المخدرات للمرضى وأنها تعبت من علاج ابنها وأنها عرضته للعلاج في عدة مستشفيات من قبل ولم يجدِ معه أي علاج ووعدها الفريق العلاجي بأنهم سوف يبذلون أقصى مجهود مع الابن للتغلب على هذه المشكلة. ومر الأسبوع الأول في العلاج المكثف للتخلص من الآثار العضوية للإدمان، وجاء يوم التحليل، وكانت مفاجأة حيث أظهرت التحاليل بأن الابن مازال يتعاطى

المخدرات، ومما زاد الطين بلة ظهور أنواع أخرى من المخدرات في جسم المريض لم يكن يتعاطها قبل دخوله للمستشفى.

وكانت المقابلة الثانية للأسرة مع الفريق العلاجي مقابلة عاصفة انفجرت فيها الأم وأخذت توجه اللوم والإهانات للفريق العلاجي على تقصيرهم في حق ابنها وأنهم لم يكونوا على قدر المسئولية وأنها تفكر في علاج ابنها بالخارج لأنها يأست من العلاج في مصر، بينما ظل الأب في حالة صمت تصل إلى درجة اللامبالاة وترك المناقشة كلها للأم بدون تدخل.

وبعد فترة من الزمن هدأت الأم بعد أن وعدها الفريق العلاجي بأنهم سوف يضعون الابن تحت المراقبة اللصيقة وأنهم سوف يبذلون الجهد لحل هذه المشكلة.

وتم عزل المريض في جناح خاص بالمستشفي ومنعت عنه الزيارة إلا للأقارب من الدرجة الأولى (الأب والأم والإخوة) وكانت الزيارة تتم في حضور أحد أفراد الفريق العلاجي. وبعد أسبوع تم عمل التحليل الثاني للمريض وكانت النتيجة محبطة للفريق العلاجي حيث أظهرت التحاليل أن المريض مازال يتعاطى المخدرات بالرغم من العزل الكامل.

وبدأت الشكوك تتجه ناحية الأسرة،واتفق الفريق العلاجي على منع الزيارة عن المريض حتى تظهر التحاليل تحسن حالته، وتم منع دخول أي أطعمة من خارج المستشفي كما تم تفتيش ملابس المريض بكل دقة.

وبعد يومين حضرت الأم للمستشفى وكانت في حالة من الثورة،وعند مقابلتها للأخصائي النفسي رفضت الخطة العلاجية الموضوعة لابنها وعللت ذلك بأن المستشفى قد تحول إلى سجن وكيف يتم منعها من زيارة ابنها وأنها تخشى أن يكون ابنها قد تعرض للتعذيب أو الإصابة بسبب عزله عن المرضى الآخرين، وكيف نمنع عنه

الطعام الخارجي الذي تحضره خصيصًا من أفخر المطاعم وتعطيه طعام المستشفى الذي لا يستسيغه ولا يقبل عليه، وأصرت الأم إصرارا شديدًا علي إدخال الطعام للمريض كما أصرت علي إدخال شريط فيديو أحضرته معها لتسلية المريض أثناء فترة علاجه بالمستشفى.

وكان لابد من موقف وسط لتهدئة الأم القلقة على ابنها، فتم رفض إدخال الطعام وسمح بدخول شريط الفيديو للمريض، وهنا هدأت الأم وتبدل حالها من الثورة إلى السكينة وأخذت تشرح للأخصائي أنها أم ويجب مراعاة عاطفة الأمومة في تلك المواقف، وأنها قلقة على ابنها وانصرفت بعد أن أبدت بعض عبارات الاعتذار لإدارة المستشفى.

وهنا بدأ الشك يدخل في روع الأخصائى النفسي، كيف انقلب حال الأم من الثورة إلى السكينة والهدوء بمجرد دخول شريط فيديو لابنها، وأسرع الفريق العلاجي لإحضار شريط الفيديو قبل وصوله للمريض في حجرته بقسم الإدمان وكانت مفاجأة حيث اتضح من التفتيش الدقيق أن الأم قد أخفت الهيروين للابن ما بين شريط الفيديو والغلاف الخارجي له.

وهنا تم استدعاء الأم قبل انصرافها بسيارتها من موقف السيارات المواجهة للمستشفى، وانهارت الأم. وتم استدعاء الأب على عجل حيث تمت المواجهة في حضور الفريق العلاجي واعترفت الأم بتفاصيل المشكلة.

لقد كان الأب وهو رجل ثري، يقضي أغلب الوقت في العمل الخارجي وكان كثير السفر للدول الخارجية لمتابعة أعماله ولم يكن يهتم بشئون الأسرة وكان يلقي الحمل كله على الأم في إدارة شئون الأسرة. وبدأ الأب يبتعد عن الأسرة شيئًا فشيء والأم تحاول جاهدة بأن تجذبه إليها حتى تعود الأسرة لسابق عهدها ولكنها فشلت في ذلك وبدأ الجفاء يسود العلاقة بين الزوج والزوجة.

وبعد فترة نما إلى علمها بأن الزوج بدأ يتعلق بسكرتيرته وأنه يقضي معها أوقات طويلة في العمل... بل وهي تسافر معه في بعض الأسفار خارج البلد وأن الأب على وشك الزواج من السكرتيرة.

وفي أحد الأيام رجع الابن من الجامعة وهو في حالة إعياء شديدة، مع عدم القدرة على التركيز والتوازن، وتم عرضه على طبيب الأسرة الذي نصح بنقله إلى المستشفى بصفة عاجلة، كما تم استدعاء الأب الذي حضر على عجل لمساعدة ابنه الوحيد، ونقله بسيارته إلى المستشفى وظل بجواره لمدة ٣ أيام وألغى جميع أعماله ورفض الرد على جميع المكالمات من الشركة حتى اطمأن على أحوال ابنه الجسمانية.

وبدأت العلاقة العاطفية بين الأب والأم تعود إلى سابق عهدها خلال وجوده في المستشفى وبدأ يظهر مشاعر الود والحنان نحو الأسرة، وبعد أن اطمأن على الابن طلب من الزوجة أن تظل مع الابن حتى ينهي بعض الأعمال بالشركة على أن يعود في المساء لمتابعة حالة ابنه.

وأثناء غياب الأب حضر الطبيب المعالج وطلب مقابلة الأب ليشرح له الوضع الصحي لابنه، وعندما علم بغياب الأب أطلع الأم على نتائج التحاليل الطبية للابن وكانت مفاجأة للأم حيث اتضح أن مرض الابن كان بسبب الإدمان على الهيروين وأن التحاليل أظهرت بما لا يدع مجالًا للشك بأن الابن قد وقع في مشكلة الإدمان وهنا طلبت الأم من الطبيب المعالج بأنها سوف تتولى موضوع إبلاغ الأب عن المشكلة بطريقتها الخاصة حتى لا يصدم ويؤدي ذلك إلى انهياره.

وقررت الأم إخراج ابنها من المستشفى بعد تحسن أحواله الطبية وبعد أن أعطت التعهد للطبيب المعالج بأن يتم عرضه على الطبيب النفسي لمتابعة علاج حالة الإدمان،

ويظل الابن فترة أسبوع في حالة من التحسن وفرحت الأم بكل التغيرات التي حدثت للأسرة، لقد عاد ابنها إلى صحته مرة أخرى، كما عاد الزوج إلى عقله وأسرته مرة أخرى.

ولكن لا تجري الرياح بما تشتهيه السفن، فقد بدأ الزوج يقضي وقت أطول خارج المنزل وبعد مدة أصبح لا يأتي إلا للنوم ويقضي أغلب الأوقات خارج المنزل وبدأ الشجار والجفاء يعود للأسرة مرة أخرى.

وفي نفس الوقت بدأ الابن يخرج من المنزل ويقضي الساعات الطوال ويعود في المساء في حالة من عدم التوازن ويهرب من المناقشة ويفضل العزلة، وبدأ يفقد وزنه وضعفت شهيته، لقد عاد للإدمان مرة أخرى وكان لا بد من المواجهة، وبعد مناقشات طويلة واتهامات متبادلة بين الأب والأم والابن أدرك الجميع بأن الوضع يستدعي دخول الابن مصحة لعلاج الإدمان لمساعدته في اجتياز الأزمة الطبية والنفسية التي يعاني منها.

ومع مرض الابن ودخوله المستشفى بدأ الأب يفيق من غفوته وبدأ يقترب من الأسرة مرة أخرى، وبدأ بعض الود والدفء يعود إلى العلاقة الزوجية.

إن مرض الابن هو مفتاح عودة العلاقات الأسرية بين الزوج والزوجة، وفي رجوع الأب إلى ابنه، وبدأ الابن يستغل مرضه حتى يرجع الأب إلى الأسرة وبدأ يستغل الأم في الحصول على العقار المخدر لكي يهرب من نفسه ومن مشاكله الأسرية، وفي نفس الوقت بدأت الأم في استغلال مرض الابن في الوصول إلى زوجها مرة أخرى، وكان لا بد من استمرار مرض الابن، واستمرت الأم في قتل ابنها بالسم البطيء(*).

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## يسمع عن أبيه ولا يراه

حين يعتب علي البعض أن رضيت بهذه الوظيفة البسيطة فإنهم أولًا: لا يعرفون ما خفي وثانيًا: شهدوا لي من حيث لا يعلمون بقدرتي على إخفاء حقيقة الوضع الذي أعيش فيه مع ابني الوحيد، وهذا بفضل الله عائد إلى أهلي اللي ما قصروا في حقي وحق ولدي جزاهم الله خيرًا.

إن عشرات الكيلو مترات التي تفصل بين بيت أهلي وبين بيت زوجي سابقًا ووالد ابني قطعت العلاقة نهائيًا بين الابن وأبيه، ولدي مسكين، لا يزوره والده ولا يسأل عنه ولا يعرفه ولم ينفق عليه منذ أن طلقني، وكان ابني رضيعًا في حجري، لم أر منه ريالًا واحدًا، كنت دائمًا أتمنى أن يتذكر ابنه ولو بشيء بسيط.

كسوة الشتاء والصيف، وكسوة العيدين، ولوازم كثيرة يحتاجها الطفل في مثل سنه، من أين لي بها؟ فمثلًا من أين لي بثمن علاجه، أحيانًا أضطر للذهاب إلى المستشفيات الأهلية لعدم وجود طبيب مختص في ذلك الوقت بالمستشفى الحكومي، لأن مواعيد العمل قد انتهت، فأحرج كثيرًا حين يقوم أبي بتسديد فاتورة العلاج والتي لا يخفى على أحد ما فيها من أرقام. إنني أبكي من أعماقي حين يحدث هذا، فوالد ابني بخير وله أبناء يصرف عليهم بدلال ويرفههم فلماذا لا يتذكرون أن لهم أخًا يحتاج إلى ما يحتاجون إليه.

ألست تأخذهم إلى السوق ليشتروا حاجتهم وزيادة، ألا تذهب بهم إلى البقالة ليتخيروا ما لذ وطاب من أنواع الحلويات والشكولاته والعصائر؟ ألا يمرضون فتطير بهم على وجه السرعة إلى أمهر الأطباء بحثًا عن العلاج الشافي؟.

إن ابنك هذا كباقي أولادك له ما لهم يحتاج إلى لباس ومأكل ومشرب وعلاج وترفيه وحب وحنان، إنه يشعر ويحس؛ ويغار حين يرى الأطفال في مثل سنه يتمتعون بصحبة والدهم إلى كل مكان وهو ليس له أب يضمه ويقبله ويأخذه بيده.

حين كان صغيرًا كنت أشتري له مما أوفره من مال يأتي له على شكل هدايا من بعض الأقارب وأقول هذا اشتراه أبي، والآن كبر وما عدت أستطيع أن أكذب عليه، فأين هذا الأب الذي يسمع به ولا يراه، وكيف يشتري له وهو لم يره. كل أصدقائه يفتخرون بآبائهم حين يحضرون إلى المدرسة في مجلس الآباء يسألون عن أبنائهم وهو الطالب المتفوق لا يجد من يسأل عنه أو يشجعه، أو يعطيه هدية النجاح.

في رمضان يقص الأولاد فرحتهم حين يذهبون مع آبائهم إلى الأسواق ليقتنوا ملابس العيد (ثياب، أحذية، وغيرها وحتى حلوى العيد وهو العيد بالنسبة إليه كباقي الأيام، بل ربما هو يوم كئيب وذكرى مؤلمة، من يعطيه (العيدية) وأين أعمامه ليتعيد عندهم كباقي الأطفال؟ العيد هو يوم مثل أي يوم في السنة يجتمع فيه أحفاد أبي كلهم.

المدرسة مكلفة وتحتاج إلى أدوات مدرسية، ثياب كثيرة، ملابس رياضية، مصروف يومي وأغراض أخرى يطلبها الأساتذة أحيانًا، فمن أين له بكل هذا بركة من أهلي إذا وفروا له الضروري.

أين والده؟ لماذا لا يهتم به؟ لماذا لا يتذكره حين يشتري لأبنائه متطلبات المدارس، أيشح عليه بالقليل من كل شيء يشتريه؟ أيرى أن حقيبته المدرسية غالية لهذه الدرجة؟.

ها هم أبناؤه يرفلون في المدارس الأهلية وينعمون بسبل الرفاهية كلها وهو راضٍ وسعيد، فأين موقع ابنك في قلبك؟.

إن إخوتي وأخواتي - جزاهم الله خيرًا - لا يقصرون معي، إنهم يولونه اهتمامهم ورعايتهم له يأخذونه معهم إلى الحدائق، وأحيانًا يذهبون به إلى السوق ليشتري حاجته، أو إلى المكتبة، إنه لن يضيع، فالله سبحانه معنا وهو الذي سيتولاه، ولكن أين والده؟ أليس له حق عليه لماذا لا يشعره بوجوده، بحبه؟ لماذا لا يزوره؟ لو أن تحت أطباق الثرى لهان الأمر قليلًا، أما أن يكون حيًا يرزق وله أبناء يشعر بمسئوليته تجاههم فهذا ما يغيظني ويفري كبدي. ولكن، الحمد لله أنه ولد، وأنه وحيد، وإلا لو كان بنتًا لكانت المعاناة مضاعفة ولو كانوا أكثر من واحد لازدادت المشقة وكبر الحمل. والآن سيزول العجب والعتب حين أرضى بوظيفة مثل هذه؟ أليس كذلك(*).

«أختكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## الوهم القاتل!!

هذا الوهم الكبير الذي تعيشين فيه سيقتلك، الأيام تمر وتعقبها الشهور والسنون والناس يتمتعون بحايتهم ويرفلون في نعم الله، وأنت متقوقعة على نفسك منشغلة بهمك تذبلين كما تذبل الزهرة، الهم يرسم على وجهك أخاديد تزيد من تغضنه فيظهرك في عمر يفوق عمرك بسنوات.

السحر والنفس والعين والحسد هي شغلهم الشاغل وهي الخوف الذي صنعته بنفسك أنا لا أقول إنها في حد ذاتها أوهام إنني أؤمن بوجودها كلها تصديقًا لما جاء في ديننا الحنيف ولكني أيضًا أؤمن أكثر أن هناك أسلحة فتاكة تقضي عليها وتحول بينها وبين أنفسنا حتى لا تخترق حياتنا ولا تنغص عيشتنا.

أليس هناك أوراد للصباح والمساء، وأوراد عند النوم وعند دخول المنزل والخروج منه وعند دخول الخلاء وعند الخروج منه، وعند الخوف، وعند لبس الثوب وغيرها وغيرها، أليس القرآن حصنًا حصينًا من الشيطان الرجيم؟! أليس هناك توكل على الله وحده.. أليس هناك التزام شرعي وانشغال في الطاعة يطرد هذه الوساوس؟ إذن لماذا هذا الوسواس؟! إنك دائمًا تتوهمين عندما يحدث لك أي شيء يضايقك حتى لو كان تافهًا أن بك نفسًا وعينًا من حاسد أو حاسدة، بت تخافين من كل من حولك من الخادمة والأقارب والجيران، يوم شعرت بشيء من الضيق لم تلجئي إلى كتاب الله، بل رحت تتهمين الخادمة وتتهمينها، وحين ارتفع السكر والضغط معًا اتجهت أنظارك إلى (فلانة) التي كانت تشارككم الجلسة عند أم محمد(والله إن عيونها في أكلي)، ألم تدركي أن الملح والمكسرات من ألد أعداء الضغط؟!.

إن كل شيء في بيتك يا أختي معرض للحسد والسحر الفرش والأثاث والأواني وأبناؤك وخادمتك وزوجك بل حتى حليك وأشياؤك الخاصة لماذا؟ أعندك شيء يزيد عما عند الناس؟ ألهذه الدرجة حياتك مميزة؟ والله ما رأينا من هذا شيئًا.

ولكن الحل صار عندك أن تجحدي نعمة الله عليك وتنكري فضله وتظهرين حالًا سيئة أمام الناس ونسيت أن الله قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. فزوجك تصفينه لأنه مقصر في حقك وحق بيته وأبنائه، وخادمتك لا تعرف كوعها من بوعها مع أن النظافة تشع في أرجاء البيت، وأبناؤك لا يسمعون كلامك وهمهم حريمهم وعيالهم و... و...

هل هذا هو كل الحل؟ لا. فلقد تفننت أختي - هداها الله - في هذا المجال بحال لم يسبقها إليها أحد، إن كل من يدخل بيتها لابد أن تتعقب أثره وتحتفظ بجزء منه في الثلاجة لحين الحاجة، لقد امتلأت القوارير بالماء المغسول فيه نوى التمر وقشر البطيخ والمكسرات تشرب وتسقي أبناءها وبناتها، إنها مع الأسف تقدم الفأل السيئ وتعتقد في الناس الظن السيئ.

إنني وأنا أختها بت أكره الذهاب إليها في بيتها أو الإطراء على شيء يخصها أو حتى الحديث مع أحد أبنائها. فمنذ مدة لم تمتلئ عيني من النظر إليهم خشية أن تقول حسدتهم وعانتهم. وعندما أدخل بيتها في مناسبة من المناسبات الكبيرة الضرورية فإنني لا أرع عيني في شيء من أثاث البيت ولا متاعه ولا لباسهم لأنني أعرف المصير؟.

وعند أختي ليس هناك فرق بين من يذكر الله ومن لا يذكر الله سواء رفعت بها صوتك أم لا: فأنت معرض للشك ومكان جلوسك عرضة للمسح.

لقد صارت حياتك يا أختي نكدًا وهمًا، لا تبحثين أبدًا عن الأسباب وراء الأحداث وإنما تعلقين كل شيء على مشجب الحسد والنفس والسحر. ابنك أسامة رسب هذا العام بسبب النفس.. هذه عين فلان حسبي الله عليه عياله كل سنة يرسبون وأسامة ولدي كل سنة ينجح لم تفكري في أن رسوبه أمر طبيعي فهو في الصف الثاني الثانوي ومعه سيارة فكيف يلتفت إلى دروسه؟.

وسناء ذات السنوات الخمس معلقة بالخادمة تلاحقها أين ذهبت ولا تريد طعامًا إلا من يديها.. أكيد الخادمة تعمل لها عمل وساحرتها. لكن كيف نفك السحر سبحان الله!! ألست تذهبين إلى المناسبات والولائم وتتركينها عندها، وحتى إذا ذهبت بها أخذت الخادمة لتلاحظها عند الناس وتهتم بها فكفي عن هذا الهراء أصلحك الله.

إن هذه الأوهام والوسواس والأفكار السوداء انسحبت على كل شيء في حياتك حتى تحليلك لمصائب الناس وهمومهم، فهذا لم يوفق في زواجه إذن هو محسود وتلك زوجها يضربها وينكد عيشتها مسكينة معمول لها سحر وثالث صدمته سيارة وتسبب هذا الحادث الأليم في شلل رباعي عافاه الله أكيد إن أحد حاسده وإلا السيارة ما تفعل كل هذا.. وقس على ذلك الكثير.

لقد صرت يا أختي موسوسة من الدرجة الأولى، عرفتك ملأى من القوارير المقروءة فيها والأخرى العكرة من فضلات أكل الناس وأماكنهم، وقلبك خال من ذكر الله ومن القرآن، وبيتك مليء بالمنكرات وصوت الموسيقى يصدح في جنباته، بناتك يجتمعن ويرقصن على أنغام التسجيل وأبناؤك فيهم الذي لا يصلي إلا قليلًا والذي يعرض، ومن منا يملك قلوب الناس فيهديهم ولكن ذكر الله والاستغفار وقراءة

القرآن والتوبة والعودة إلى الله بصدق وعزيمة وإيمان والانشغال بأمور الطاعة كلها بإذن الله كفيلة بحفظ المرء مهما كان الوسط الذي يعيش فيه فاجعلي هذا هو منهجك وطريقك وحفظك الله من كل مكروه(*).

«أخنك»

عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اقرأ: قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء**».

رواه أبو داود والترمذي

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## عقوق من نوع خاص

في زمن مضى كنت أتأمل أبنائي وهم صغار وأرقب ذلك اليوم الذي يدخلون علي فيه ومعهم أزواجهم وذرياتهم وأنا أضم هؤلاء الصغار وألثمهم وهم يتدافعون نحوي صائحين (جدي جدتي) ولم يكن يدور بخلدي حينذاك أني سأفاجأ بعقوق من نوع خاص هو عقوق الأحفاد.

ابني محمد هو الوحيد من أبنائي الذي عاش معنا بعد زواجه بضع سنين فوالده كبير وأخواته مازلن صغارًا، وكان في بيتنا كما في كل البيوت، مشاكل وخلافات في الرأي وأخذ ورد بين البنات وزوجة أخيهم هداهن الله وكنت أنا الطرف المصلح دائمًا، أنهر البنات أحيانًا وأحملها اللوم في أحيان أخرى، ففارق السن بينهن يجعلها تترفع عن مثل هذه السخافات ولكن عقول النساء صغيرة.

ومرت السنين وتزوج البنات (وكل راح في حال سبيله) واستقل ابني في منزل مستقل ليس بسبب المشكلات ولكن لكثرة الأبناء، فقد ضاق بهم المكان ولم تضق بهم القلوب وذرفت الدموع على فراقهم ودعوت لزوجة ابني بالتوفيق والأجر على صبرها وتحملها وسألتها أن تستر ما واجهت فقالت: ما واجهت إلا الخير.

ولكن يبدو أن تلك السنين قد حفرت في قلبها وعقلها أخاديد لا يمكن أن تندرس هي لا تحب أن تظهرها لتبقي على العلاقة سليمة، لذا فقد انطبعت صورها في عقول الصغار من بناتها وأبنائها فنشأ أحفادي كارهين، ساخطين علي، فهي في قرارة نفسها تحملني مسئولية تصرفات البنات وتشعر أنني كنت أحركهن من خلف الستار كما يقولون، فحمل أبناؤها نفس الصورة وذات الفكرة.

فهي مثلًا تبدي استعدادها لمشاركتنا في زيارة قريبة أو الخروج على أحد المنتزهات ولأن بيتها أقرب البيوت لي فطبيعي أن أرافقها وأن تمر علي، ويحل الموعد ولا يأتي أحد أنتظر عند الهاتف لربما أخبرتني أنها في الطريق، وأخرج عند الباب حتى أسمع منبه السيارة ولا يحصل شيء من هذا، وفي الغد قلبي يؤرقني أتصل أطمئن عليهم أخشى أن يكون أصابهم مكروه وترد علي صفية ذات الأحد عشر ربيعًا تقول: (من قال إننا سنمر عليك خلي بناتك ينفعونك) هل تظنون أني سأصدم لهذا الرد، لقد اعتدت عليه، فكم من مرة يغلقون السماعة في وجهي بشدة، وكم مرة قالوا: (ما عند إلا هذا الولد)، (وأف من هذه العجوز).

وهن أي: الصغيرات لا يحترمن عماتهن ولا أبناءهن على الرغم من أن البنات والله نسين كل تلك الخلافات والمناوشات القديمة فهي غيرة بنات على كل حال وطيش شباب. ولكن ما ذنبي حتى أحتمل كل هذا؟!.

حين نجتمع في الدوريات الشهرية وأحتاج إلى أي خدمة مثلًا كأس ماء علبة مناديل أو حتى تقريب السجادة للصلاة ولا أجد إلا أبناء محمد أستحي أن أطلبهم فالرد معروف (أين خادمتك لتأمريها) (تعالوا شوفوا جدتكم ماذا تريد) وكلمة (جدتكم) هذه تغيظني فكأنني لست جدتهم أيضًا.

إن زوجة محمد زرعت في نفوس أبنائها بذور الشك في محبة جدتهم وعماتهم وسقتها حتى ترعرعت وازدهرت وصارت يقينًا. هذا ما أشعر به؛ شيء من الكره والحقد في نفوس هؤلاء البراعم، نظرات الريبة والحذر في عيونهم وسلاطة ألسنتهم كلها تصدق توقعاتي حتى وإن أبدت أمهم شيئًا من الامتعاض المصطنع إزاء بذاءتهم أحيانًا أو بعض السخرية المغلقة تجاه تعليقاتهم، فهذا لا يخفي أبدًا دورها القوي في توجيه بناتها. وخير دليل على تخرصاتي هو علاقتهم الطبيعية بأبناء أعمامهم وأعمامهم

أيضًا فعندما ولدت زوجة محمد بنتًا قبل فترة وكنا عندها في البيت لزيارتها طرحت الأسماء المقترحة (سمية- هند -...) والكل يدلي بدلوه وحينما سئلت عن رأيي قلت بصراحة: (أنا لا تعجبني الأسماء الجديدة وأحب أن تسموها سارة) قفزت في وجهي بنت محمد الكبرى والتي تليها معترضتين على الاسم، يستهزئن به، ويحقرن رأي (قديمة.. أنت موضة قديمة) (لا نريد آراء العجائز) (طلع من فمك غبار)!!!.

هل حقًا الاسم إلى هذه الدرجة من القبح؟! ثم ما رأيهم في الاسم الذي اقترحته زوجة عمهم (ابني خالد) لماذا لم يعترضن عليه ولم يستهوئن به مع أنه حقًا صار قديمًا. كل هذا حدث في وجود والدتهم لو كان ذلك خارجًا عن إرادتها على الأقل نهرتهن أو أخرجتهن من المجلس أو أسمعتني كلمة فيها رائحة الاعتذار. لقد اكتفت بتلك الابتسامة الماكرة التي يظن البعض أنها ابتسامة الغضب بينما هي في الحقيقة ابتسامة الرضا والاطمئنان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تذكري يا مسكينة أن تربيتك هذه ستجنين ثمارها في القريب العاجل بعد أن يتزوجن بناتك وتتغير طريقة حياتهن وأول من سيتجرع تربيتهن هو أنت وكما قيل «كما تدين تدان» فمهما كانت طبيعة الحياة سينقلب السحر على الساحر يومًا ما وسيذوق ما سقاه للآخرين من سوء التربية والتحريض والكره والتعالي والمكر والكيد، أسأل الله أن يعيدك إلى رشدك وأن تدركي ما فاتك(*).

«أختك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

## ومن يطيق ما تطيق أم عبد الرحمن؟!

لو كان لي دعوة مستجابة لصرفتها لزوجة أخي، ولكنني أدعو لها في ظهر الغيب دائمًا أن يوفقها الله ويذيقها بر أبنائها، فهي منذ دخلت بيتنا لم نر منها إلا الابتسامة العذبة والكلمة الطيبة وخفة النفس، كالفراشة تدور في أرجاء البيت تعطره بأنفاسها، تضفي على حياتنا طعمًا خاصًا، أغبطها حين أسمع عبارات الثناء من والدي، وأرى أكف الضراعة تبتهل إلى الله أن يحفظها ويحفظ لها شبابها وأن يسعدها ويوفقها، وحين تزوجت تمنيت لو أن لزوجي أمًا حتى أعاملها كما تعامل زوجة أخي أمي، ولكن من يطيق ما تطيق أم عبد الرحمن، إن الأجسام تتعب في مراد النفوس الكبيرة.

نحن خمس بنات وثلاثة أبناء كلهم متزوجون ولديهم أولاد، نجتمع في بيت والدي كل أسبوع فتستقبلنا ببشاشة ورحابة صدر وتحتفي بنا كأنها لم ترنا منذ مدة، تشعرنا أن الأرض إذا ضاقت بناء وسعنا قلبها، لا تتضايق من شقاوة الصغار ولا تبدي تجهمًا من طلبات الكبار.

كل أسبوع تتفنن وهي الطاهية الماهرة في تجهيز الوجبات وتبحث عن رغبات الصغار قبل الكبار، ولا تنسى مرضى السكر: والدتي وأختي الكبيرة، فتجعل لهم صنفًا خاصًا.

الأطفال إذا اجتمعوا يعبثون ويكثر صراخهم فتتضايق أمي فتطمئنها بكلمات بسيطة (هم زينة الدنيا لو ما يلعبون قلنا أكيد تعبانين، خليهم على راحتهم متى يشوفون بعض إلا هذا اليوم)، بعد وفاة والدي رَحِمَهُ اللَّهُ صارت ملازمة لأمي لا تتركها أبدًا، يسافر أخي في بعض أعماله يمكث قرابة الشهر أو يزيد فلا تغير من عاداتها شيئًا تزور أهلها يومًا في الأسبوع كما كانت قبل مع أنه بإمكانها وقد ترك لها أخي الخيار أن تذهب عندهم للراحة وتبقى يوم الخميس تستقبلنا وتعد لنا المائدة العامرة وتخدمنا بعيونها ومعسول كلامها.

وتمر الأيام والشهور والسنوات وتكبر والدتي ويهدها مرض السكر فيصرعها مرات عديدة، وتزيد وفاة والدي من شدته فتتدهور صحتها وتلازم السرير في المستشفى شهرًا وتبقى عندها زوجة أخي ترعاها وتحفها بعنايتها بعد الله سبحانه تركت بيتها وزوجها وأبناءها ودراستهم وتفرغت للاهتمام بأمي، فالوظائف لم تدع لأحد منا فرصة المشاركة وربما أن البعض الآخر لا يرغب في ذلك، فأسوأ شيء أن تلازم مريضًا في المستشفى في غرفة ليس فيها فراش أو مكان معد للنوم سوى سرير المريض.

وتزداد حالة والدتي سوءًا فرج الله كربها فتفقد الوعي أحيانًا وتنسى نفسها وترد إلى أرذل العمر وتعجز عن التحكم بعملية الإخراج أعزكم الله فتوليها أم عبد الرحمن كل عنايتها وتقوم غير متأففة ولا متبرمة بتنظيفها بنفسها محتسبة الأجر من الله سبحانه، ثم تطعمها بنفسها أيضًا تاركة طعامها ليبرد، وربما اتسخت ملابس أمي فلا يهنأ لها بال حتى تقوم بتبديل ملابسها وتهيئتها للزوار، واستمر الحال هكذا حتى استقرت حالة والدتي وخرجت من المستشفى ولكنها صارت مقعدة طريحة الفراش، فصارت لها ممرضة وخادمة تعطيها العلاج في وقته وتقوم بالاهتمام بنظافتها وتحميها وحتى بعد أن جلب أخي لأمي خادمة وممرضة فلقد كانت ترفض -جزاها الله خيرًا- أن يقوم أحد بتنظيفها غيرها، خرجت أمي وكثر الزوار الجيران، الأقارب، المعارف، فلم تتضايق ولم تبد تذمرًا وكانت تطبع البيت بطابع الرضا والاطمئنان بأقدار الله سبحانه.

لقد انقلبت حياتهم رأسًا على عقب بعد مرض والدتي، ولم يتغير حالهم، فالابتسامة لا تفارق محياها وبناتها يشاكلنها في فن الخدمة واللياقة والإحسان إلى الناس، ولقد رفضت أن تلغي الاجتماع الأسبوعي فهو رباط جميل يجمعنا فيه ذكرى والدي رَحِمَهُ اللَّهُ، الزيارات والأفراح والدعوات حتى ما يخص أهلها لم تعد يهمها، فلقد

تركته غير آسفة على شيء، فمهما كان رعاية هذه العجوز المسنة الضعيفة وسبحان الله مع أن والدتي تفقد وعيها كثيرًا إلا أنها لم ينقطع لسانها عن شيئين: ذكر الله والدعاء لأم عبد الرحمن. فهنيئًا لها. بقي أن أقول شيئًا أخيرًا فأخي هذا ليس أكبر أخوتي ولا أصغرهم، والبيت الذي تجتمع فيه هو بيته ولكننا اعتدنا تسميته بيت والدي. بعد هذا ألست محقة حين قلت: من يطيق ما تطيق أم عبد الرحمن(*)؟!

«أخت زوجك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## أشعريني بمكانتي

أحييكم وأدعو الله لكل عجوز أنه يخلي لها شبابها وبيتها الحاجة للناس مذلة حتى لو كان ولدك. مات أبو الأولاد من ست سنوات رَحِمَهُ اللَّهُ ولأني صرت وحيدة في ذلك البيت وليس لي إلا ولدان فقد رفضا بقائي في بيتي وصرت كل فترة أمكث عند واحد منهما، ولأن خالدًا أيسر حالًا من صالح وأوسع بيتًا وعنده خادمة فمكثي عنده أطول.

خالد زوجته مدرسة؛ ربما هي لا تفرح بوجودي عندها ولكنها تحب ذلك من باب (رب ضارة نافعة) فهي تستغل ذلك لصالحها، فأنا عند الأولاد في الصباح وأراقب الخادمة وأشرف على عملها كما أن الأبناء يتعلقون بي أكثر وهذا بالنسبة لمدرسة أمر مريح جدًا، ثم إني لست عجوزًا بدرجة كافية فمازالت في بقية من نشاط أكفي نفسي وأقوم بها، وأحيانًا في ظهيرة الشتاء الباردة أجهز الغداء طبعًا من الأكلات الشعبية (اللي تحبها قلوبهم).

في الظهر نجتمع على وجبة الغداء وبعد العصر ينامون وبعد المغرب أو العشاء تخرج منال زوجة ابني في زيارات ونزهات (تقول إنها ذاهبة للمكتبة لغرض ضروري، أصبح فيه مكتبة من بعد صلاة العشاء ثم تعود بعد فترة، وأخرتها قلم ناشف أو دفتر وأحيانًا تقول إنها ذاهبة للمستوصف ولا شفت معها علاج ونادرًا ما تقول إنها ذاهبة للسوق) مع أن الصغار ينامون وأنا معهم قبل أن يعودوا، وطبيعي ألا أنام حتى أطمئن على عودتها ولكن لا أحب أن تجدني في الصالة في انتظارهما حتى لا تظن الظنون.

أنا على علم إلى أين تذهب، وأحيانًا خالد يخبرني عن طيبة قلب يظن أنها قالت لي أحيانًا الأولاد يسمعونها تقول لوالدهم عن وجهتها فيخبروني، فلماذا تخفي علي الأمر هل تعتقد أني سأرافقها إلى المطعم مثلًا أو أنني أرغب في السوق بعد صلاة العشاء أم

أنني لا أعرف الأصول وسوف أذهب معهما إذا خرجا مع أصدقائهما في نزهة خلوية. كل هذا لا يحدث وهي تعرف ذلك جيدًا، ولكن الذي أتمناه أن أعرف وجهتهما أو حتى موعد مجيئهما حتى لا أظل قلقة (وعلى أعصابي) وهما في أوج سعادتهما يتفكهان في أحد المطاعم أو على أحد (الشواطئ الرملية) مع أصدقائهما وكاسات الشاي والدجاج المشوي.

مادمت تخرجين وأنت مطمئنة على أبنائك فلماذا لا تشعرين بي وتدعيني أطمئن على أبنائي أيضًا؟ لو لم أكن عندك لم استطعت فعل ذلك، بل أنك حقًا (تحبسين في البيت) كما تقولين إذا كنت عند عبد العزيز وأطلت المكث عنده وتتصلين ترجين عودتي ومجيئي.

ها أنت تتركين أبناءك متعبين (حرارة وكحة والتهاب) وتذهبين إلى مناسبة دعيت إليها سواء في أيام العمل أو آخر الأسبوع دون أدنى تردد (مادام خالتي عندنا والشغالة موجودة فرصة لماذا لا أذهب،إذا راحت لعبد العزيز بعد كم يوم انحبست في البيت) تخرجين غير عابئة بحال الأولاد، الخادمة غارقة في عمل البيت والطفل تحت يدي أرقبه أسأل الله له اللطف والرحمة، إن الاعتماد علي في كل الأمور انسحب حتى على الخادمة فهي حتى لم تكلف نفسها السؤال عنه أو تقريب الدواء له.

إذا أراد خالد دعوة أصدقائه إلى الغداء أو العشاء ألحت عليه أن تكون وسط الأسبوع وهذا جيد حيث إني آخر الأسبوع أكون في زيارة لابنتي وهي تذهب إلى أهلها ولكنها ترفض أن تكون الدعوة على العشاء متحججة (إن العشاء وقت سهر وغدًا عمل) وخالتي ستظل سهرانة تنتظر مجيئك (أجعلها غداء والذبيحة عند الطباخ، وخذوا إحدى الاستراحات أحسن من جو البيت) ومعنى هذا أن أقوم أنا بما أنها في المدرسة بعمل أقراص المعجنات والفطائر وإذا عاد محمد من العمل أخذها جاهزة

والباقي نتغدى عليه، نأكل اللقمة وكل واحد يروح لحال سبيله هي تنام وأنا أجلس في غرفتي أحادث نفسي والجدران.

ما دورها في البيت؟ لا الأطفال ترعاهم ولا البيت تهتم به ولا المطبخ تدخله فماذا تفعل؟ إنها حتى مع جهودي هذه كلها لا تقر لي بفضل، بل ترى أن هذا واجب علي فلم تمد لي يد ولم تكرمني بشيء وتظن في قرارة نفسها أن هذا ثمن جلوسي عندهم فهم قد فتحوا بيتهم لي فيجب أن أرضى بعيشتي والحمد لله على كل حال.

إن هدية بسيطة أو مبلغًا من المال تضعينه في يدي لن يزيدني شيئًا، ولن يدخل معي القبر، كما أنني لا ينقصني شيء حتى أطلبه ولكن ها أنت لا ينقصك شيء والمال في يدك تتصرفين فيه كيف تشائين ومع ذلك حين تأتيك قطعة قماش أو سجادة أو خاتم ذهبي هدية من إحدى أخواتك أو صديقاتك تفرحين بها وتريني إياها كما لو كنت طفلة أعطيت (عيدية) فهلا أفرحت قلبي وأشعرتني بمكانتي وفقك الله ورعاك(*).

«أم زوجك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## أين الخلل؟

عشرون عامًا مضت من عمري أبحث فيها عن الخلل في حياتي، كنت أظن أن كل الذين مثلي لا بد وأنهم يعيشون مثل عيشتي، إلى أن دخلت الجامعة بعد صراع ومكابدة، قابلتها وتعرفت عليها، هادئة، رزينة، لها منطق حلو، ثقتها في نفسها كبيرة، ليست مغررة ولا مسلوبة الإرادة، تعبر عن رأيها بكل صراحة وحرية، تتقبل النقد بصدر رحب، لها وجه طليق، خفيفة الظل، مرحة لا تخرج في مرحها عن الذوق والأدب، محبوبة طيبة المعشر وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، منذ رأيتها وخالطتها أدركت أن وراءها أمًا عظيمة وبيتًا كبيرًا، ذلك أن صديقتي تلك كانت كفيفة منذ ولادتها أي أنها لم تر النور مطلقًا في حياتها، عاشت في ظلمة ولكنها ظلمة المكان، أما القلب والروح فمبصران، عناية أهلها بها بعد الله انتشلتها من الظلمة وغمستها في أجواء مضيئة نيرة فصارة خيرًا من كثير من المبصرات، معرفتي بها زادت من يقيني بوجود خلل في طريق حياتي.

ما أفتقده أنا رضعته مع حليب أمها منذ الصغر، الثقة بالنفس، وقوة الإرادة، مع العلم أن إعاقتي لا تقارن مطلقًا بإعاقتها، فالبصر لا يوازيه شيء من نعم الله سبحانه، أما أنا فهما فقط عكازان أحملهما بل يحملان جسدي حيث عجزت رجلاي عن حمله بسبب الشلل.

عشت مقعدة، محرومة من كثير من متع الحياة المباحة، أواجه صراعًا مريرًا مع نفسي عند كل أمر حتى لو كان تافهًا، أدفع نفسي بكل قوة نحو النجاح والاستمرار في الحياة، تخذلني نفسي مرات عديدة، تقتلها نظرات الناس، بل حتى الأهل فصاحبتها مريضة، عاجزة عن فعل شيء أو تقديم نفع لها فضلًا عن غيرها، أنا عالة على أهلي، عذاب لأمي، موتي راحة للجميع.

آثرت نفسي العزلة والانقطاع عن العالم بكل ما فيه، وأحبت الوحدة فكنت أجاهدها وأصارعها، لانتشالها من الوحشة لأنتصر مرة وتنتصر مرة، حتى وصلت بها إلى أسوار الجامعة، فكانت معرفتي بتلك الصديقة بداية لإعادة النظر في مسيرتي كلها بحثًا عن الخطأ.

أمي من شدة حبها لي ومن رحمتها بي جعلتني على هامش الحياة ليس لي دور أؤديه في البيت لا أكنس، لا أغسل، لا أطبخ، ولا أعمل شيئًا فقط أنام وآكل وكأن إعاقتي في بدني وفي عقلي، كم كنت أغار حين أرى أخواتي يطفن أرجاء البيت كالفراش يعملن وينجزن ويبدعن وأنا صفر، بل ربما أقل من ذلك، فالصفر كان اكتشافًا كبيرًا في عالم الرياضيات.

أذكر حينما كنت صغيرة أن والدي كان يرفض أن ألعب مع الأطفال مثلي ويحث أمي على الاهتمام بهذه الناحية، فربما يضربني أحدهم أو يطأ رجلي فيضرني، فكنت فقط أتفرج وقلبي يقفز في مكانه مع كل طفل، أريد أن أبدد هذا النشاط الذي يملأ جوانحي.

الزيارات والخروج من البيت ممنوع، فكانت أخواتي يتعاقبن الجلوس عندي، كل مرة ترافقني واحدة، وعندما دخلت المدرسة كانت أمي تلازمني حتى نهاية اليوم الدراسي حتى لا تؤذيني التلميذات كانت تحمل حقيبتي وتقدم لي الفطور، وتعزلني عن بقية البنات، الأمر أتعب والدتي كثيرًا، كنت حقًا صغيرة لكن قلبي كبير، أدركت ذلك من عينيها ووجهها وهذا ما يزيد من ألمي، وظلت أمي على هذه الحالة حتى تكفلت إحدى المستخدمات بي وصارت تعتني بي، إن حمل الحقيبة على الظهر وتناول الإفطار باليد أمر سهل جدًا ولكن حرص والدي على ذلك جعلني كثيرة الاعتماد على غيري عاجزة عن الاعتماد على نفسي.

إن نظرات الرحمة والشفقة وعبارات العزاء والمواساة هي فقط ما أراه وأسمعه ممن حولي، وكأنني قطعة لحم جامدة لا أشعر ولا أحس ولا أتألم، وهذه النظرات والعبارات تترجمها كلمة واحدة هي أني عاجزة. فحتى ثيابي وغرفتي وكتبي لا يمكنني ترتيبها فوالدي - حفظه الله - جلب لنا خادمة لتقوم بهذه المهمة بعد زواج أخواتي الكبيرات.

في قاموس حياتي كلمات مقفرة وعبارات موحشة كادت تودي بي على الهاوية لولا لطف الله ورحمته فكان اعتمادي على الله وحده ثم تمسكي بالعبادة وحرصي على الطاعة وإكثاري من الدعاء والذكر والحمد لله مما أعطاني دفعة قوية نحو الاندماج في الحياة والرضا بقضاء الله وقدره.

أعود إلى صديقتي تلك لأخبركم أنها تكنس وتطبخ وترتب غرفتها وتكوي ملابسها، من علّمها؟! تقول إن أمها علمتها كل شيء لتتمكن من الاعتماد على نفسها بعد الله وخدمة نفسها، فربما بعد عمر طويل يذهب الوالدان والأخوان فتعيش وحيدة فمن يخدمها ويتحمل أمورها وشئونها؟ إنها غير عاجزة فهي تستطيع أن تؤدي دورًا كبيرًا في المجتمع ربما أفضل من كثير من الأسوياء.

حقًا لقد صدقت إذ أن الإعاقة تشكل لنا تحديًا كبيرًا يجعلنا نسعى نحو الانتصار عليها وقهرها، فقط أتيحوا لنا الفرصة، امنحونا الثقة، وانظروا إلى هذه النماذج المشرقة التي تعرضها وسائل الإعلام بين الحين والآخر، أرجو أن يكون لها صدى قوي ووقع فعال في نفوسكم لتعلموا أننا أيضًا نستطيع أن نبدع في بيوتنا وخارجها، ودمتم... (*)

«أختكم»

(*) مجلة «الدعوة».

## بيتي طريق للعبور!!

ما أجمل صلة الرحم والتواصل والأجمل منها أن يلفها الوئام والألفة، كم سعدت حين علمت أن أهل زوجي يسكنون في مجمع سكني واحد أربعة بيوت في سور واحد، بيت الوالد وأبنائه الخمسة.

كان نصيبي منها دور أرضي، فرحت به كثيرًا إذ أنه سيكون مملكتي الصغيرة، وعشت مع أحلامي تتقاذفني أمواجها حتى رمتني على شاطئ الواقع، فصحوت لأواجه حياة أخرى غير التي حلمت بها.

كنت أعرف أن البيوت ما وضعت إلا للستر، ولم يشرع الاستئذان إلا من أجل النظر ولكن يبدو أن معلوماتي قديمة، فليس في هذا المجمع شيء اسمه الاستئذان يدخلون متى شاءوا، ويقتحمون عليك خلوتك متى أرادوا، ومن أكبر المخازي أن أردهم أو أبقيهم عند الباب لحظات، ومن الذنوب العظام عندهم أن يجدوا الباب مغلقًا.

ليس لبيتي، بل ليس لجميع البيوت خصوصية فلا أستطيع أخذ راحتي في بيتي لا في لباس ولا منام، وحتى الأكل و الشرب، لست حرة تلك الحرية التي تعيشها من تسكن في بيت مستقل.

أخوات زوجي وأبناء إخوانه وحتى زوجاتهم والجميع كل من أراد المكتبة فله ذلك، فالمكتبة العامرة هذه في بيتي، إذن يجب ترك الأبواب مفتوحة أربعًا وعشرين ساعة، فأنا لا أدري متى يحتاجونها، ويتأزم الأمر حين تكون هناك مسابقات، إما في الحي أو المدرسة أو وسائل الإعلام، فهذا يعني المرابطة في المكتبة دون انقطاع (ناس تروح وناس تجئ) ومع ذلك يقولون خذي راحتك) فمن أين يا حسرة؟!.

إن أسوار بيتي ليست تابعة للبيت (ربما) أنها تابعة للبلدية كالشارع فهي طريق للعبور بين هذه البيوت، لذا لا تبدو أبدًا نظيفة ولم أستمتع بها مطلقًا فهي مهملة كبعض الشوارع.

(والقبو) مشكلة أخرى جديدة، فبيت الوالد ضاق بحاجياتهم، وكذلك بقية البيوت فاقترحوا فتح هذا (القبو) كمستودع لهذا المجمع، وكل من زاد عنده شيء يجعله فيه، وهذا (القبو) تحت بيتي فقط، فلم تعد الحركة تهدأ في بيتي مطلقًا، فهذه خادمة إبراهيم أحضرت غرضًا وتلك خادمة عبد العزيز جاءت لأخذ حاجة، وكل أم تريد أن تخبئ عن ابنها شيئًا تخفيه فيه فمازال الأطفال يروحون ويجيئون بحثًا عن أشيائهم المفقودة، فصرت موظف صادر ووارد، أسأل عن كل شيء دخل وكل شيء خرج.

الكلفة بينهم مرفوعة إلى أبعد الحدود، أذهب إلى أهلي دون أن أغلق باب بيتي فربما احتاجوا إلى المطبخ أو المستودع أو حتى أغراضي الخاصة، يلعبون بكتبي، وأشرطتي، ألعاب أطفالي دون حياء ولا خجل، وحين أقلي سمكًا أو بطاطس أو أخبز فطائر في الفرن تأتيني إحدى البنات لتأخذ حصتها وحصة أهلها فلقد أثارت الرائحة اللذيذة شهيتهم. ولو كان المطبوخ الطعام المعتاد يوميًا لهان الأمر أما الفطائر فكيف سأصنع ما يكفي لأربعة بيوت، وكان سيكفيني أنا وزوجي وطفلي القليل.

نحن في هذا المجمع تحت المجهر، ليس من أهل زوجي فقط، بل من الجميع، تصرفاتنا مكشوفة، تحركاتنا مرصودة، نشعر في كلام كل واحدة أن لها مرصدًا تراقبه البيوت الأخرى، زوجة إبراهيم خرجت في الساعة الفلانية وعادت في ساعة متأخرة تحمل أكياسًا مليئة.

وبيت عبد العزيز خرجوا للنزهة ولم يخبرونا، الأغراض التي حملوها تدل على ذلك، والآخرون أحضروا عشاء من المطعم، وبيت فلان عندهم ضيوف على العشاء،

(وعلى حديث الضيوف) فإن البيت الذي يستضيف شخصًا يجب أن يدعو الجميع، فمثلًا حين أريد دعوة صديقتي أو أهلي.. فيجب أن أدعو جميع من في البيوت الأخرى من نساء وأطفال وخدم فكيف بالله ستكون الضيافة وكيف يجد ضيفي راحته، وهذا ينطبق حتى على الرجال، وحين تكون مناسبة كبيرة في أحد البيوت يتضرر الجميع من عبث الأطفال وشقاوتهم، فالأبواب كلها مشرعة والكل في حالة استنفار.

البعض منهم يحيون هذه الحياة ولا يجدون فيها حرجًا، أما أنا فمازلت أحب المجتمعات السكنية وأرى أنها تزيد من أواصر المحبة والألفة، ولكن حين يجعل ساكنوها لتعاملهم بعضهم مع بعض ضوابط وقيود لا تحد من حريتهم وتمنحهم مزيدًا من الراحة والخصوصية والستر(*).

«زوجة أخيكم»

(*) مجلة «الدعوة».

## سئمت من انتظار الإحسان والثناء؟

صدق الذي قال: إن الراحة عند أول قدم نضعها في الجنة، فهذه الحياة الدنيا ليس فيها راحة، نسعى لنبحث عن الراحة، وسعينا كله شقاء ونصب، نلهث ونبذل ونضحي ولا نجد الراحة التي ننشدها، الراحة حقًا في الإيمان وطاعة الرحمن وإخلاص النية؟ رزقنا الله وإياكم إخلاص النية.

كنت قد تزوجت منذ فترة طويلة برجل يكبرني بسنوات، ربما أنه في سن والدي أو ينقص قليلًا، له بنات من زوجات أخريات،أمهات البنات مطلقات، بقيت معه وحدي، كنت زوجة أب طيبة والله، ولكن كما يقولون الطيب ما له نصيب في الدنيا قط.

عشت في هذا المجتمع غير مقبولة من البنات، لا أجد الاحترام ولا التقدير، لم يستطعن هضمي وربما يشعرن أنني السبب في طلاق أمهاتهن أو يحسدنني للحظوة التي لقيتها من والدهن حين تزوجني أما الآن فلم يبقِ فيه المرض شيئًا من صحة أو عافية.

أواجه هذا الواقع المرير وحدي، لا أجد عزاء من أحد ولا يسليني أحد، الكل هنا يفرض رأيه ويبدي اعتراضه إلا أنا تعودت الصمت و ألفته، ليس لي رأي يؤخذ ولا أسأل في شيء ولا تطلب استشارتي، مع أنني لم أكن في يوم ما سلبية معهن بل بالعكس كنت أتودد لهن وأقف بجانبهن وأدافع عنهن وأسعى في مطالبهن حيث إن والدهن كان شديدًا بعض الشيء، أردتهن صديقات لي وأخوات، ولكن رأين أن طيبتي معهن دليل ضعفي فاحتقرنني وخصوصًا أنني من أترابهن.

الغريب أنهن لم يتغيرن إلا بعد زواجهن وهذا راجع لشدة والدهن في التعامل معهن، وبعد الزواج كنت أنا الهدف لسهامهن؛ هذه ترفع صوتها في وجهي، تتلفظ

بألفاظ لا تليق بالصغار فضلًا عن الكبار تسميني أم المصائب!! أي مصائب تقصد؟! لست أدري.

والأخرى تكرر على سمعي دائمًا أنهن سيجتمعن كل أسبوع في بيت والدهن رضيت أم لا، وليس لي فضل ولا منة!!! مع أنني والله لم أعترض يومًا على ذلك.

كنت أتعب وأبذل وأضحي من أجلهن، كنت أنتظر الشكر والعرفان فلا أجد من ذلك شيئًا، جهزت سبعًا منهن بأحسن جهاز، جعلتهن متميزات بين قريناتهن؛ أقمت لهن حفلات كبيرة دعوت لها كل الأقارب والصديقات.

يجتمعن عندي وأستعد لمجيئهن خير استعداد، يتركن أبناءهن عندي ويذهبن إلى السوق أو إلى وليمة مسائية فأعتني بالصغار ولا أتضايق أبدًا، كنت أنتظر شكرهن وثناءهن، أقوم (بتنفيسهن) وأعتني بمواليدهن كأي أم، هل تدرون كيف يكون النفاس؟! سهر بالليل على بكاء الصغير واستيقاظ من الفجر لتجهيز الإفطار واستعداد مبكر لاستقبال الضيوف. النفاس هو العمل على قدم وساق لراحة النفساء وصغيرها.

تركت أعباء أهلي من أجلهن، مع أنني لا أزور أهلي إلا في العيد فهم في مدينة بعيدة عني إذ لو ذهبت فمن سيكون في استقبالهن ومن سيشعرهن بالعيد، يأتين وقد جهزت السفرة بألذ الأطعمة التي اعتدن عليها في مثل هذه المناسبة يأكلن ويشربن ويسمرن وحين يأتي العصر يتركن أبناءهن ويذهبن للسلام على عماتهم وخالاتهن وأقاربهن. كل هذا أعمله وليس لي منة بل رغمًا عني كما يدعين.

لقد قررت الآن أن أتغير، أن أريح قلبي من همومه، أن أطبع حياتي بطابع جديد زوجي لم يعد يعرف شيئًا، ضعف سمعه وبصره، وصار معظم الوقت حبيسًا للفراش، كنت أخدمه وسأظل كذلك، وكنت أخدمهن وأتودد لهن وسأظل كذلك لن أتغير، إن الذي سوف يتغير هو نيتي فقط، تعبت من أجل المدح والثناء ولم أحصل عليهما، والآن

سأتعب وأبذل وأضحي مثلما كنت، ولكني أنتظر الأجر من الله، نعم من الله سبحانه، فلن يعود لكلماتهن صدى في نفسي، ولن تقلقني معاملتهن عسى الله أن يعفو عن الزلل ويغفر لي ما قدم وما أخرت إن أجري إلا على الله وما أنا من المتكلفين(*).

«زوجة والدكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## أربعة فيهم البركة!!

كل يوم يمر يأخذ من جسمي قوته ومن بشرتي نضارتها، كيف لا والألم النفسي الذي يسببه لي هذا الوضع الذي أعيش فيه يدمر كل خلية من خلايا جسمي، ما أصعب أن يخطئ غيرك وتتحمل أنت وزر هذا الخطأ ليس جهلًا بل ظلمًا وعدوانًا حتى والله لو كان المخطئ فلذة كبدك.

أنجبت أربعة أطفال أصغرهم أتم عامه السادس من عدة أشهر، ومنذ أن أتم ثلاثة أعوام وأنا في حال لا يعلمها إلا الله، من عيادة إلى أخرى ومن كشف إلى تحليل وهكذا والنتائج كلها سليمة، حاولت مع زوجي أن يقوم هو بعمل الفحوصات اللازمة، فهذه العملية لا تكلفه شيئًا من المعاناة وليست صعبة ويكفيه تحليل واحد ثم تظهر النتيجة فإن كان سليمًا وصفحته بيضاء قمت أنا بالأخذ بالأسباب التي سببها الله عز وجل، وإن كان منه الخلل كفاني هم هذه الكوابيس وبدأ بمعالجة نفسه، ولكنني بمجرد أن اقترحت هذا الاقتراح كأنني طعنته في رجولته فأقام الدنيا ولم يقعدها وأسمعني من الكلام الجارح ما أسأل الله أن يثقل به ميزاني.

هذا جانب و الجانب الآخر أهل زوجي أمه وإخوانه اللائي ما فتئن يلححن عليه بالزواج من أخرى، وتجربة حظه من غيري، فهم قد انخدعوا بي وزوجوا ابنهم عجوزًا لم تستطع أن تنجب أكثر من هؤلاء، وكأن الأمر بيدي ونسوا أن الله (يجعل من يشاء عقيمًا) ويهب لمن يشاء الذكور أو الإناث سبحانه.

لقد بدأ زوجي يفكر جديًا في أمر الزواج ويخطط له، وصارت دموعي لا تجف من عيني، ماذا يريد لقد بذلت كل ما أستطيع وقمت بعمل كل ما يلزم فهذه أشعة ملونة وتلك تحاليل وزراعة ومناظير لم يبق شيء تفعله النساء في هذه الحالة إلا وعملته،

صرت زبونة دائمة في عيادات العقم طرقت باب كل عيادة، واستخدمت كل الأدوية الشعبية والأعشاب حتى تعفنت كبدي وتلفت معدتي فلم أعد أحتمل المزيد، تحاليل سليمة والطبيبة الاستشارية أشارت علي بأن أتوقف فليس هناك شيء أعمله غير هذا وقالت بقي الدور على زوجك يجب أن يقوم بالكشف اللازم، فرجائي إليك أن تقوم بهذا الكشف لن يكلفك إلا زيارة واحدة فقط ثم تظهر النتيجة وعندها افعل ما بدا لك، تزوج أو طلقني.. المهم لا تقتل فيَّ الأمل أرجوك..!!.

وتوسلت له وقبلت يديه وكدت أن أقبل قدميه لولا أن شيئًا من الرحمة غلف قلبه ووافق، وحينها لم تسعني الدنيا من الفرحة ولكنها فرحة مشوبة بقلق، فقد بدأ يماطل في الذهاب، مرة يقول: احجزي لي بالهاتف عند الطبيب فلان ثم يتهرب من الذهاب، وأخرى يقول: ذهبت ولم أجد الطبيب وثالثة يقول: دعيني أفكر التأني في مثل هذه الحالات محمود.

لقد تعبت معه، وتعبت منه وأسلمت أمري إلى الله، وفي ذات يوم شعرت بتغير كبير طرأ عليه، كان قادمًا وفي يده كيس حاول جاهدًا أن يخفيه، لقد تبينت كنهه هو كيس علاج وفيه حبوب قال بنبرة فيها أسى: إن الطبيب صرف له هذا العلاج ليستعمله ستة أشهر ثم يعود لعمل الفحوصات فإن نفع الدواء به كان بها وإلا فإنه سيضطر لاستعماله فترة أخرى حتى يكتب الله له الشفاء، يبدو أن زوجي قال ذلك الكلام في لحظة ضعف وإلا فإنه بعدها بفترة تكدر مزاجه وتغيرت نفسيته وصار مرة ينكر هذا الكلام وأخرى وهي الطامة يحذرني ويهددني بالطلاق إن أخبرت أحدًا عن السبب أعني سبب تأخر الحمل منه، وهذا جانب ثالث من جوانب الألم النفسي الذي حدثتكم عنه.

وتكتمل الصورة عندكم حين تعلمون أن زوجي قد استخدم العلاج لفترة ثم رماه بحجة أنه قد مل هذه السموم التي يحشوها في جسمه، ورفض أن يستخدم علاجًا

آخر أو يحاول محاولة أخيرة: أربعة أبناء فيهم بركة هذا ما يقوله لي أما عند الناس وعند أهله فكلام آخر، لقد صبرت وتحملت ولكن فاض بي فلو كان الجميع يعلمون الحقيقة لهان الأمر ولكن أن أواجه أنا بكل هذه الأسلحة فهذا هو الظلم بعينه، بعضهم يقترح حلولًا لعلاج تنفعني، وآخرون يلمزون ويهمزون والطفيليون ينقبون عن أدق التفاصيل، وأهل زوجي متضايقون لأنني لم أستطع أن أنجب أكثر، ولم أفك السحر الذي عملته لابنهم حتى لا يتزوج فهو قد كان موافقًا ومستعدًا وفجأة صرف نظره عن هذا الموضوع. صرت عاجزة عن إسكات هذه الألسن الحادة، عاجزة عن مواجهة الناس بالحقيقة، عاجزة عن مصارحة زوجي بالألم الذي يعتصرني، فأي كلمة سيكون فيها حتفي(*).

«زوجتك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

## الشرب من نفس الكأس..!

لا أعرف إن كان كل النساء يشعرن بأن زوجة الابن تأتي لتأخذ الولد من أمه فتستحوذ على قلبه وتمتلك مشاعره، لكن هذا هو شعوري أنا.

تزوج أبنائي قبل البنات، فعاملت زوجاتهم من هذا المنطلق عفا الله عني لم أكن لأعلم أن هذا يضايقهم بل يضايق أهلهم أيضًا أو ربما لم تكن تهمني مشاعرهم.

كنت أرى أنني إن تركتهم (على كيفهم) ضاعوا مني وتمردوا عليَّ فضيقت عليهم العيش حتى أملكهم وأحكمهم.

الذهاب إلى الأهل ممنوع أكثر من مرتين في الشهر حتى وإن كانت هناك مناسبات مهمة فيمكنها أن تذهب إلى أهلها وتحضر عشاءهم ثم تعود بسرعة.

ليس من الضروري الاستجابة لكل الدعوات ولا القيام بكل الواجبات الاجتماعية الخاصة بهم (يعني كل يوم لابسة عباءتها وطالعة، تزور نفاس، أو مريض أو تسلم على خالة أو عمة) هذا يمكنكم القيام به إذا سكنتم في بيوتكم الخاصة فقط أما هنا فأنتم تحت تصرفي.

حين تزوج أكبر أبنائي سفّرت الخادمة، فزوجة الابن يجب أن تقوم بخدمة أهل زوجها ورعايتهم والاهتمام بشؤونهم من الطبخ والغسيل وترتيب البيت وغيرها من الأعمال، فبناتي مازلن صغيرات لا يقدرن على تحمل المسؤولية.

كنت أتحكم في أمزجتهم وأتدخل في أمورهم الشخصية وأذواقهم، حين ندعى إلى وليمة ما فيجب أن نذهب جميعًا أو نبقى جميعًا لا يحل لأحد منهم أن يعتذر سواء أبنائي أو زوجاتهم، الغداء والعشاء أنا التي أحدده، كثيرًا ما كانت أختي تنصحني في

هذا الجانب بالذات: الله يهديك يا سميرة خليهم على راحتهم من أجل ما تخسرينهم، وسعى عليهم شوي، أنا في بيتنا أربعة وأطبخ الغداء قدرين كل واحد يأكل من اللي يشتهي ما عليك منهم متى قاموا ومتى ناموا ما داموا جزاهم الله خير ما قصروا في حقك ومن حق أزواجهن ولا تركوا شغل بيتك.

لا، لا يمكن أبدًا أن أفرط في أبنائي، وأتركهم لبنات الناس، كنت أفتخر عند الناس بقوة شخصيتي وإمساكي بزمام الأمور، وأرى في عيون النساء نظرات الإعجاب والغبطة والحسد أيضًا حين يروننني مع زوجات أبنائي وهن يتسابقن لخدمتي وتقريب الطعام لي والجلوس بقربي لقد كان هذا هو ما يرضيني سواء عملوا ذلك مرغمين أو راغبين لا يهم!!.

ولكن.. وما أصعب.. لكن هنا... لم تدم سعادتي بل قد كانت تلك السعادة قشرة تغلف واقع الحياة المر الذي كنت أعيشهم فيه، تزوجت أولى بناتي ثم تبعتها الثانية بأشهر، بنتين كفلقة القمر وحبة الجمان وأشقيت عمري في تربيتهما بعد وفاة والدهما، وعلمتهما وأسبغت عليهما من الحنان والدلال ما جعلهما تعيشان مترفتين مدللتين مخدومتين مني ومن إخوانهما وزوجاتهم، وكنت أود أن تظلا هكذا حتى بعد زواجهما ولكن..

الأولى، لاقت من زوجها من العنت والضيق ما الله به عليم، كان يمنعها من زيارتي، أو الاتصال بي وحين تتصل يكون هو بجانبها حتى لا أفسد أخلاقها كما يقول راتبها في جيبه ومع هذا يضيق عليها في متع الحياة المباحة.

والثانية لم تكن بأحسن حالًا من الأولى لزوجها أم عكست صورتي الحقيقية التي لم أكن أراها، جعلت ابنتي كالدمية تحركها متى وكيف تشاء، عاملتها كما عاملت زوجات أبنائي بل أشد، الخروج ممنوع، الهاتف ممنوع، السوق ممنوع.

كان قلبي يتقطر ألمًا وحسرة على ابنتي حين تغيبان عني كل هذه المدة، أريد أن أراهما وأن أقبلهما وأضم أبناءهما، أشتاق إلى صوتهما وإلى أنفاسهما.

هل كل أم تشعر بهذا تجاه بناتها، إذن لابد أن أمهات زوجات أبنائي يشعرن به ويتحسرن على ذلك، ثم إن بناتي في عذاب وشقاء فهل زوجات أبنائي كذلك؟ لقد أدركت خطئي الآن لقد كنت مخطئة حين ظننت أني بأفعالي تلك سأطوق أبنائي بأجنحتي سأجعلهم تحت رعايتي.. سأكسبهم في صفي دائمًا، لقد أخطأت أكررها مرارًا وها أنذا أعتذر للجميع وأكرر أسفي، وأطلب منكم جميعًا أن تسامحوني، عيشوا كما تحبون، وافعلوا ما تشاءون وسوف ترون مني كل الحب والاحترام والحنان فأنتم ما قصرتم ولن تقصروا والعذر والسماح يا بنات عسى الله أن يعفو عني ويرحمني(*).

«أمكم وخالتكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## من زرع حصد!!

أتدرون من أنا؟ أنا أم البنين؟ أم الذكور؟ من يا ترى لا يحسدني أنا ملكة في مملكة شعبها كله رجال، أسواري حصينة وجيشي منيع هذا الذي يظهر للناس أما الخافي فالله سبحانه أعلم به.

وإن كان بعضه ظهر للناس بعد هذه السنين كلها، زوجي هداه الله ليس كباقي الرجال، لم يستشعر يومًا واحدًا مسئوليته تجاه أبنائه، لم يدرك أو أنه لا يريد أن يدرك أن الذكور من نصيبه هو ويتحمل هو جزءًا كبيرًا في تربيتهم. أهملهم حتى شبوا كالنساء، رقيقين متميعين ثم جاء ليلومني، أين كنت من عشرين سنة؟ هل فرطت يومًا في (شياكتك) وسهراتك؟ هل تركت زملاءك لحظة واحدة؟ هل ضحيت بكأس شاي تشربها معهم وجلست مع أبنائك تعلمهم وتربيهم؟ أم هل أخذتهم معك ولو مرة واحدة ليجلسوا مجالس الرجال؟إذا كنت تعرف الجواب مسبقًا لا تلمني.

منذ كان أطفالنا صغارًا لم تكن لتدمجهم مع المجتمع الخشن، لم يخرجوا معك لحضور مناسبة أو زواج قريب، لم تعودهم تقديم لوازم الضيافة لضيوفك، لم يعرفوا استقبال الضيوف، ولا إجراء بعض المكالمات الهاتفية العائلية التي تخص دعوة لاجتماع أو إقامة دورية،كنت ترفض أن يردوا على الهاتف في وجودك أو وجودي بحجة أنهم لا يعرفون أو لاتكالك على موقف سابق لصغير منهم، كنت أقول: لن يتعلموا إلا من أخطائهم وكنت تقول: «ليس عندي استعداد لتحمل نتائج أخطائهم».

وها هي السنون تمر كلمح البصر والذي خشيته وقع صار الأولاد بنات، بل إن بنات هذا الزمن خير منهم إنهم لا يستطيعون مجالسة الرجال ولا التحدث معهم، يكرهون مواجهة المجتمع والاختلاط بالناس، يتعثر الواحد منهم حين يرد على الهاتف

أو أرغمه على ذلك ويشير بعينيه ويديه طلبًا الإسعاف، ماذا يقول، وبماذا يجيب؟ لم أتمكن من الاعتماد على الكبير في شراء بعض الأغراض بالرغم من أنه في المرحلة الجامعية يقود سيارة خاصة به وكيف لي ذلك وأحدهم يغرق في شبر ميه، كما يقولون، وربما غشه البائع أو أحضر لي بضاعة تالفة أو.. أو.. والمواقف من هذا كثيرة.

إن وضع أبنائي يقلقني.. صرت مرهقة، أعصابي تالفة، ونفسيتي متعبة استخدم حبوبًا مهدئة فحتى الآن لم يستفق والدهم ولم يدرك خطورة وضعهم.

هم حقًا متفوقون في الدراسة، هادئون ولكن هذا ناتج عن جلوسهم الدائم في البيت وعدم احتكاكهم بأحد وندرة الأصدقاء والمكالمات.. تزورني أختي.. يأتي بها ابنها فلا يقوم واحد منهم للسلام عليه في الباب واستضافته وهو ابن خالتهم أقرب الناس إليهم.

أسئلة كثيرة تدور في ذهني: ترى كيف سيتزوجون؟ وهل سيوافقون؟ وبأي شكل سيتعاملون مع نسائهم؟ كيف سيبنون حياتهم؟ كيف سيربون أولادهم؟ كيف أعيد لهم الثقة الضائعة؟ وكيف أبني شخصياتهم؟.

إنني كلما فتحت الموضوع مع والدهم أغلقه بجملة واحدة لو فيك خير ما صاروا كذا إذن الخلل عاد إلي والعيب في؛ ولقد نسيت إذن تلك الأيام، يوم كنت أحمل أحدهم صينية الشاي وأدفعه دفعًا ليقدمه إلى ضيوفك كيف كنت تطرده بشكل مزرٍ وتوبخه أمام الضيوف ثم تعود وتعنفني أمام أبنائك لأنني فعلت ذلك.

اليوم فقط تلومني لأن زياد لا يعرف الاحتفاء والترحيب بالضيوف وعبد الله لم يبيض وجهك عند زملائك، والبقية يكرهون الاجتماعات العائلية وحضور المناسبات والسلام على الأقارب. تذكر جيدًا كل ذلك مع أنك لم تنس ثم حاول تجديد أسلوبك، أعطهم الثقة، ازرع في نفوسهم الحب والألفة، امنحهم الفرصة ليثبتوا لك عطاءاتهم،

مازال في الأمر متسع، وإن فرط منا الكبار ففي الصغار كل الأمل، أنا واثقة بإذن الله أن هذه المحاولات ستجدي وأن الزرع سيثمر، فأبناؤنا هم ثروة المستقبل وهم الأمل بعد الله فمن زرع حصد والسلام(*).

«زوجتك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

## الأخ الشقيق على الورق فقط

ليس بوسعي فعل شيء إلا أن أتساءل: ما الفرق بيننا وبينهن؟! وما الفرق بين الأخوات وبين الزوجات؟ أليس كلانا أنثى تحمل بين جنبيها نفسًا تفيض عذوبة ورقة؟ أليس مصير كل منا إلى أن تكون أمًا ينبض قلبها حبًا وحنانًا؟.

لماذا يعمد البعض إلى التفريق بين أخواته وزوجته، أخواته اللائي يسري في عروقهن دمه، ويحمل وجهه بعض ملامحهن، ويملك نفس العادات الاجتماعية والطبائع البيئية. سبحان الله!!! أهي تلك النظرية الفيزيائية (الأقطاب المتشابهة تتنافر) ألهذا الحد تصل العلاقة بيننا، تنافر تام؛ وكيل بمكيالين، إن مشاهد من حياتنا اليومية تعطي صورًا واضحة لما أريد بيانه.

إن زوجة أخي يحق لها أن تشتهي ألذ المأكولات وأشهى الحلويات من أجود المطاعم وأشهرها، لا يهم السعر ولا المشوار في سبيل رضا (أم العيال)، أما نحن (الأخوات الضعيفات) فحرام في عرفهم أن نفكر ولو مجرد التفكير في مثل هذه الممنوعات. فعندما نطلب على استحياء (مرة في العمر) شيئًا من هذه الأصناف ونقدم بين يدي طلبنا مبلغًا من المال يفي بالغرض نواجه بالتهكم والسخرية (ما للبنات هم إلا بطونهن) (آخر زمن..إذا جاء لكم رجال تدللوا عليهم) فالبنت التي ليست في كنف زوج لا يحق لها ما يحق لزوجاتهم لماذا؟ وما الفرق؟ لا أدري!!.

والسوق ثاني المحظورات، ويل لنا إن أردناه، هل تظنون أننا متبرجات أو سافرات؟ كلا إننا والله لا نملك حتى عباءة واحدة من تلك المزركشات، ومتى نذهب للسوق؟ أو متى نرغب في ذلك؟ حين نود شراء مستلزمات المدرسة من مرايل وبلايز وأقمشة تنانير وحقائب وأحذية وخلافه، أو حين نكون على أبواب مناسبة مهمة

كالأعياد والأفراح. فنحن نذهب للحاجة فقط وليس للتنزه ومع ذلك فهذه للحاجة في نظرهم (سخيفة – تافهة).

أما حاجة زوجاتهم فهي من الأهمية بمكان، بل يتحتم عليهم أن يتفقدوا الأسواق ويقلبوا البضائع حتى يعرفوا الجديد والرخيص والغالي وليس في ذلك غضاضة فمتطلباتهم ضرورية ولا تنتهي لماذا.. وما الفرق؟ لست أدري.

وفي الإجازات تحزم الأمتعة وتجهز الحقائب ميممين شطر الشرق أو الغرب فارين من جو الرياض الحار إلى أجواء أبرد وإلى سواحل ألطف، فهم زوجاتهم في حاجة إلى وقت راحة وتنفيس بعد عناء الاختبارات والمذاكرة طوال العام (والحبس في البيوت)!!!! مع أنهن لا يتركن مناسبة ولا حفلة إلا كن في الصفوف الأولى (ما شاء الله!!).

أما الأخوات المسكينات من أمثالنا اللائي ليس لهن إلا والد كبير قد هدت السنين قوته وأضعفت جسمه، وأم عاجزة مسكينة تؤثر الصمت وتهضم حقها وحقنا في سبيل سعادة الأبناء ورضاهم فإنهن يجب ألا يتضايقن أو يشعرن بالاكتئاب من هذا الجو الحار ولا يملللن من طول المكث في البيت فهذا ما كتب لهن ويجب أن يرضين به، ثم إن إخوتي غير موكلين بنا – عفوًا – أقصد غير مكلفين بسعادتنا وراحتنا، بل مكلفين فقط بالصراخ في وجوهنا، والاعتراض على مطالبنا، فهذا في مفهومهم دور الأخ وقوامته.

أما الأخ الشقيق، الرحيم بأخواته،الساعي على شئونهن، المقدر لضعفهن فهذا فقط في الكتب المدرسية وفي القصص الخيالية، إنه كالسندباد أسطورة تحاك حولها الحكايات. اللهم ارحم ضعفنا وهواننا على إخواننا(*).

«أخواتكم»

(*) مجلة «الدعوة».

## لماذا تنغص علي حياتي؟

- هذا جنون.. هذه عجلة والعجلة يتبعها الندامة.

- أنا لا ألومك إن قلت هذا وزيادة، فأنت بالتأكيد لم تعيشي وضعي لذا لن تستطيعي فهم موقفي.

- أرجوك كفى الملام فما عدت أحتمل هذه العبارات اللاسعة، يكفيني ما أعانيه وأسمعه من زوجي صباح مساء.

لو كنت مكاني لفعلت مثلي، أنا واثقة؛ إذ لم يعد لزوجي هم أو حديث سوى الزواج بأخرى، هل هو محق أم هازل؟ هل هذا وهم أم حقيقة؟ والله لا أعلم.

منذ ست سنوات وهو على هذه الحال.. لو كان عازمًا على الزواج فما الذي يمنعه؟ ولو كان جادًا فلماذا هذه المماطلة؟ وإن كان مازحًا فلم لا يكف عن هذا المزاح الثقيل؟.

إذا جلسنا على مائدة الطعام، عند اجتماعنا على إبريق الشاي، عند النوم، على الهاتف،إذا كنا في زيارة لأهله، هذا هو ديدنه الكلام في الزواج (أريد أن أتزوج).. ليتني متزوج من ثانية.. حظ فلان عنده ثلاث وعنده أبناء وبنات كثيرون.. هذه هي السعادة.. أنا مسكين عندي واحدة فقط..).

بات يكرر على مسامعي هذه السيرة (أريد فتاة بمواصفات معينة.. بيضاء.. طويلة...) صرت أتمعن في وجهي كثيرًا في المرآة.. مازلت شابة.. بل إن كثيرات من قريباتي لم يتزوجن بعد وما زلن يملين شروطهن.. وهبني الله شيئًا من الجمال وشخصية هادئة تحبب من حولي في والحمد لله، فماذا يريد يا ترى؟!.

عند كل صغيرة وكبيرة يتهدد ويتوعد بالزواج؛ حتى عند المزاح، يأخذ الهاتف ويتصل من مكان آخر في البيت، أو يتحدث عندي مع أناس لا أعرفهم أو لا يريد أن أعرفهم بكلمات ورموز غامضة فيها إيهام كبير برغبته في الزواج، بل ربما في مشروع خطبة، يريد إغاظتي. يسأل أمه بعد كل وليمة عمن رأيت من البنات، ويسأل عن (أبو فلان عنده بنت.. ما هو شكلها؟ طولها؟ عمرها؟) وخالتي امرأة جاهلة كبيرة السن فبمجرد سؤاله تبدأ في سرد الإجابات الدقيقة التفصيلية حتى لكأن السامع يرى رأي العين.

لكثرة حديثه في كل مجلس عن هذا الأمر، صار البعض يعرض عليه بنات فلان أو أخوات فلان وهو يدقق في السؤال ويتمعن في العرض ولكن لا يقدم خطوة واحدة.

قل بالضبط: ماذا تريد؟ تلك المواصفات التي تتحدث عنها وتحرص عليها لن تجدها في واحدة من بنات حواء ولكنها حتمًا جزء من مواصفات حورية من الجنة، ربما تجد الجمال الأسر ولكن ينقصه الشخصية المقنعة أو ربما اجتمعنا وانعدمت الأخلاق أو وجدت معه غرورًا وعجبًا أو لم يكتب لك الله منها الولد أو واجهت متاعب أخرى.. المهم أننا تعلمنا أن الكمال لله وحده وأن الله كتب علينا النقص ونفى عنا الكمال، وكم من قصة سمعناها لجمال صار وبالًا على صاحبته.

هل ترى في نفسك الكمال؟ ألم تجلس مع نفسك يومًا لتحصي لها عيوبها؟ ألا ترى أن التوافق والانسجام هو من أكبر نعم الله علينا؟ لماذا لا تحمد الله وترضى بما قسم لك؟ ألست أحمد الله ورضيت بما قسم الله لي؟.

كنت أرغب في جامعي يحمل الشهادة الجامعية، وله مركز مرموق، وليس لديك شيء من هذا، ومع هذا قبلتك وعشت معك في أهنأ حال سنين عددًا فلماذا تنغص علي حياتي وتكدر عيشي بهذه السيرة.

تريد الزواج.. تزوج ولكن لا تجعل العيب في.. لا تبحث عن مساوئي وتقول إنك ترغب في عكسها.. (تريد شعرًا طويلًا لأن شعري قصير، وترغب في البيضاء لأنني قمحية.. ولو كان العكس لطلبته).

لا يغرنك صور هاتيك النساء السافرات في المجلات فهي لم تظهر إلا بعد تحسين وتزويق وتزوير، وطبقات الدهانات كفيلة بإخفاء أدق العيوب.

وأرحني أراح الله قلبك بكلمات ناصعة بينة: هل ترغب في الزواج؟ أم ترغب في الحديث عنه فقط؟ أدام الله علينا فضله ونعمته(*).

«زوجتك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

## حقًا إنها مسكينة!!

وضعت مديرة المدرسة سماعة الهاتف، نظرت إلى المدرسة نظرة ارتياح، ثم قالت: هذه فرصة لنثبت لجميع الأمهات سوء هؤلاء السائقين.

قالت المدرسة بنشوة: حقًا... لكن تصوري ما هو موقف الأم عندما نخبرها بتصرف السائق العفن؟. هزت المديرة رأسها بثقة ثم قالت: «أقل شيء أن تلح على زوجها بالاستغناء عنه».

تنهدت المدرسة عن كدر وغم قائلة: «مسكينة الطالبة وأمها، الكل ضحية لإهمال الأب الذي هو سبب لعدم مبالاة السائق».

جلست المديرة نقرت بقلمها طاولة المكتب، زفرت بمرارة وقالت: «كم من بيت عفيف، انقلب بسببهم إلى وحل زاعف مليء بالقاذورات».

وصلت أم الطالبة، دخلت المكتب، ألقت التحية، انقبض صدر المدرسة لمرآها، عرفت بنفسها، ابتسمت المديرة مرغمة لتداري امتعاضها، انقلب جو المكتب إلى جو مضغوط كورت الأم عباءتها القصيرة بين يديها، جلست تنحنحت، ثم قالت بعد أن تثاءبت طويلًا وقالت: «خيرًا؟».

قالت المديرة بهدوء متكلف: «أأنت أم نوال؟». قالت الأم بنبرة ثقيلة ناعسة: «نعم خيرًا لقد أجلت طعام الإفطار من أجلكم». نظرت المديرة إلى المدرسة ثم نظرت إلى الساعة الحائطية الحادية عشرة داهمتها الخيبة لكنها أصرت على الأمل. قالت المدرسة باندفاع متسائلة: «ابنتك بالأمس أين هي؟».

قالت الأم بدهشة: «أين هي؟ ثم بلهجة باردة ملؤها الثقة: في الصباح عندكم، وفي الأوقات الأخرى عندي في البيت». قالت المديرة بضيق ضاغط: «متأكدة؟».

قطبت الأم، بدأت خلايا فكرها تستيقظ هتفت: «ماذا؟».

قالت المدرسة وهي تحاول أن تسيطر على انفعالاتها: «نعم للأسف أقول إنها لم تكن عندك بالأمس».

اضطربت الأم، تحركت جلست على مقدمة الكنب، تنحنحت، بلا إرادة وقالت: «أقصد إنها عند الخادمة، هي أطعمتها واعتنت بها». قالت المدرسة وقد ضاق بها الامتعاض: «لماذا؟ من الأم هي أم أنت؟».

رمشت عينا الأم بسرعة، قامت ورمت المدرسة بنظرة نارية ملؤها الحنق، قالت وهي تهز رأسها بشدة:لا.. لا... هذا يكفي لقد تدخلتم في الشئون الخاصة.

قالت المدرسة وكأنها لم تسمع كلامها، وهي تضغط على انفعالاتها: «كانت بالأمس عندي في البيت». صرخت الأم بهلع: «نعم. ماذا؟».

نعم كنت بالأمس أنا المناوبة، حتى الساعة الثانية لم يحضر أحد لأخذها، انتظرت، سألتها عن رقم هاتف المنزل طبعًا لا يمكن أن تعرفه وهي في السنة الأولى الابتدائية، سألتها هل تعرف مكان البيت؟ هزت رأسها بالنفي، في الأخير قررت أن أذهب بها معي إلى البيت، وكتبت على باب المدرسة اسم الطالبة ورقم هاتفي، انتظرت رنين الهاتف، لم يتصل أحد، كادت أن تسبب لنا ابنتك مشكلة إذ انخرطت بالبكاء، رددت اسم (ناني) بكثرة سألتها اسم من هذا؟.

قالت: «اسم الخادمة».

كورت المدرسة قبضتها ضربت بها طرف المكتب توقفت وهي تنفث ألمًا ومرارة، ثم بعد ذلك أتيت بها معي اليوم. اضطربت الأم، ارتعشت شفتها السفلى بشدة، قالت: «لا... لا.... هذا لا يحتمل، لا يمكن تصوره».

أحسست أنها أمام تحدٍّ جديد، تحدٍّ من نوع آخر أنا ما انغمست في الطلاء والكعب العالي والإصرار على السائق والخادمة إلا لمقاومة التحدي، ثم أواجه الآن بهذا التحدي العنيف، تحد في أعز صفاتي وهي الأمومة، أفاقت، جالت ببصرها في أرجاء المكتب بذهول ودهشة، هتفت، لا يمكن تصوره...

قالت المديرة بمرارة: «هذا كل ما حدث، وإن كنت غير مصدقة».

أمرت بإحضار نوال؛ هبط صمت، تكاثف ضاعت الأم فيه، تبادلت المدرسة والمديرة النظرات، جلست الأم، أطرقت رأسها غاصت بالألم، ثم رفعت رأسها بحدة، قامت بعصبية، نظرت إلى حذائها، عبثت بعباءتها القصيرة لبستها باضطراب عنيف، رددت النظر بين المدرسة والمديرة ثم قالت بحنق: «عملها كوكو.... طيب سوف أطلب من زوجي.....».

ابتسمت المدرسة إحساسًا بقرب الظفر، تهيأت المديرة للارتياح! سوف أطلب من زوجي أن يخصم منه العلاوة التي أعطاها إياه قبل أربعة أشهر، تجهم وجه المدرسة، لطمتها اللامبالاة بيد من حديد، تهاوت على الكنب(*).

❀❀❀

(*) موسوعة القصص الواقعية.

## يا أخي لا ترمي بولدك إلى التهلكة!

حين سمعت قرار أخي الأخير هالني حجم المصيبة التي قد تقع علينا جميعًا، شعرت وكأنه مغمض العينين يحمل ابنه بين يديه ويرميه في البحر بكل رضا، يجيد السباحة أو يغرق أو يتخبط ذات اليمين وذات الشمال؟ لا يهم، المهم أن يعود بالشهادة من الخارج.

أخي ... ترى أين كان عقلك حين اخترت هذا السبيل؟ لابد أن أقسو عليك قليلًا لأجلي لك الحقيقة فتنقشع سحب الظلام الكثيف الذي غشي ناظريك لترى بؤس الحياة التي ارتضيتها لابنك وشقاء المستقبل الذي ينتظره إن لم ... إن لم يعصمه الله.

أخي: كيف ترضى أن تقذف ثمرة فؤادك وهو ما زال غضًا طريًا في بحور الكفر المهلكة، تتركه هناك ليسبح ضد التيار فيتعب أو مع التيار فيهلك والعياذ بالله.

ألهذا ربيته وعلمته وصرفت عليه دم قلبك؟ لتفقده في لحظة زائغة؟ ألا تخشى أن يعود إليك بعد سن الدراسة تلك وقد تنكر لك وساءته حالك ومعيشتك؟ ألا تخشى أن يسفه أفكارك ومعتقداتك؟ هذا إن عاد لك حقًا وقد أكمل دراسته وحصل على الشهادة. إذ ربما بدد الأموال وقتل الساعات والأيام دونما فائدة. وعاد إليك يحمل عار فشله وربما انحرافه فتكون ضيعت مالك وضيعت ابنك.

تقول: إنك كمن ألقى بالمكتوب في اليم، وتحذره من البلل! ألست معي في أنك إن آمنت عليه من فتنة الشهوات فلن تأمن عليه من فتنة الشبهات التي تدك معاقله في كل لحظة، وتصطدم بقناعاته وأساساته التي نما عليها وتشكل منها فكره وعقله.

ثم كيف يمكنك أن تقول: إنك تأمن عليه الفتنة وهي هناك تتجسد في كل مكان وتسير على قدميها وتطل برأسها عبر وسائل عديدة، ألا تعلم أن النار حفت بالشهوات.

قل يا أخي بالله عليك كيف سيعود إليك ابنك بأي فكر وبأي شكل وأنت تسلمه لهم عجينة طرية قابلة للتشكيل زاعمًا بهذا أنك ترتقي بفهمه. وأن الدراسة هناك تفوق نظيرتها هنا. وأنه سيكتسب لغة وثقافة وسيتعود الاعتماد على نفسه.

وكل هذا هراء، إنك تغالط نفسك، تصادم الواقع! إن كان الأمر جاء مبادرة من ابنك ووافق هوى في نفسك، فهذا خطأ كبير إذ كيف تنساق وراء أمنية خادعة لشاب ما زال يافعًا جاهلًا بدروب الحياة ومشاق الغربة، ألا ترى لو أنه طلب أمرًا آخر لا يوافق هواك كيف ستكون ردة فعلك؟.

وإن كان الأمر مبادرة منك وحدك فهذا أيضًا خطأ محض إذ أنك سمحت لنفسك بالتفريط في المسئولية التي أولاك الله إياها وغششت رعيتك من حيث وجب عليك نصحهم وإرشادهم؟ تصور معي: شاب صغير لم يتجاوز الثامنة عشرة بعد في عنفوان شبابه وثورة حيويته ونشاطه وقوة اندفاعه وتأجج عواطفه، ترسله وحيدًا إلى بلاد لا تعرف لله حقًا، الشيطان يحكم سيطرته عليها، والمادة تحرك حياة الناس، والشهوات هي الدافع الحقيقي للحياة،إذا لم يعبّوا منها حد الامتلاء بحثوا عن منافذ ليفرغوا فيها غيظهم ليس الانتحار إلا واحدًا منها. تتركه مع عائلة ليس لها من اسمها نصيب، إما تطمع في ماله أو تغير دينه وأفكاره، يتعلم منها التمرد والتفلت الذي يسمونه التحرر وتبهره حياتهم ببهارجها وزخرفها وهو لا يعلم أن هذا هو جلد الأفعى الأملس الجميل يخفي وراءه سمًا زعافًا يقضي عليه، تتركه يكابد مناظر مؤذية ومشاهد فاضحة تقول له بلسان الحال: هيت لك. ما إفرازات هذا الوضع في نظرك؟.

**يا أخي**: اتق الله في نفسك وفي ولدك ولا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وفي وطنك الخير الكثير، ألا يكفي أن يتعلم ابنك بقربك؟ وتحت نظرك؟ وبين محمد وإبراهيم وصالح وعبد الله؟ خيرٌ له من البعد والتقرب الموحش، وخير له من جورج وليندا وجون وجوليا ... شباب ضائع لا خير فيهم.

ظلمات بعضها فوق بعض، راجع نفسك جيدًا وتأمل فيما أقدمت عليه هداك الله للحق وأرشدك إلى الصواب(*).

«أخوك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## وما يضيرك من فقري؟

كنت طالبًا فاشلًا في دراستي، عجزت أن أتخطى المرحلة المتوسطة أيقنت أني لم أهيئ لها، تركت المدرسة وتوجهت إلى العمل، فقد كلفت والدي الكثير من المال والجهد ليس معك شهادة ولا خبرة، إذن ارض بما يقسم لك من عمل، بعت مع والدي في سوق الخضار في مبسطه، كان الربح بسيطًا والعمل مرهقًا فتركت والدي وبحثت عن عمل آخر أيضًا بائع ولكن في محل تسجيلات مكثت فيه مدة ليست بالقصيرة واستفدت كثيرًا. ساعدني والدي في شراء سيارة وأشار علي بعض الأصدقاء بالاستفادة منها في توصيل الطلاب أو المعلمات وحقًا بدأت بهذا العمل مع عملي في محل التسجيلات، فرزقني الله من فضله وصرت أوفر دخلي كله ولا أصرف منه إلا القليل وحرمت نفسي من أشياء كثيرة يمتع الشباب بها نفسه من أجل أن أعف نفسي وأتزوج. والحمد لله بحثت عن المرأة التي تناسبني وحرصت على خلقها وأمهرتها (ما ورائي وما دوني) وتزوجت.

طبعًا لم تكن متصورة أن تطأ بقدميها السجاد الصيني أو تتقلب على السرير الأمريكي ولكنها تفاجأت بسوء الحال (لم أكن أتوقع أن حالك لهذه الدرجة) تعني من الفقر من قلة ذات اليد، ولكنها الحمد لله دائمًا مستورة، ولم أفكر في مد يدي لأحد أو الاستدانة من أحد إلا من جاء بنفسه وعرض العون، وهذه الديون التي في ذمتي لن يهنأ لي عيش ما لم أردها في أسرع وقت فيجب أن تتحملي معي شظف العيش حتى نتخلص من هذا الهم.

تمر الأيام أسرع مما نشعر، تطحننا بنيرانها ونحن نكابد الحياة نستل اللقمة من فمنا لنطعم أهلنا وصغارنا أصبحت المسؤوليات تتتابع والأولاد تزداد والديون تتراكم وأنا واقف لا أستطيع عمل شيء حيال ذلك.

سألت الله العون والسداد وأن يعيننا على قضاء الدين فزوجتي هي الأخرى لا تحمل شهادة، ثم لو خرجت لتعمل فمن يعتني بالأولاد؟!.

لم أكن لأحدث أحدًا بحالي، ولكن الحال لا تخفى على أحد، قبل رمضان بعدة أيام جاءني أحد الذين أعرفهم يرتادون المحل كثيرًا ويعرف صاحبه أحضر معه أرزاقًا (أرز – سكر – حليب وغيرها) أقسمت ألا آخذها فنهرني وقال: «الناس للناس أم تريد أن تحرمني الأجر»، تألمت كثيرًا وكان الموقف قاسيًا على نفسي حتى أنني لم أستطع أن أخبر زوجتي إلا بعد أن رأت ذلك بنفسها، ومن شدة ألمي زادني موقفها ألمًا، حيث بدأت تولول وتختزي وأقسمت ألا تستعمل شيئًا منها ولكنها تحت إلحاح الحاجة اضطرت للحنث بقسمها.

منذ ذلك اليوم وأنا أبحث عن عمل رسمي ثابت لعل الله أن يصلح حالي، سألت وطرقت الأبواب مستعينًا بالله، حتى وجدت عملًا بسيطًا يدر دخلًا لا بأس به ولكني معه خسرت نقل المعلمات، حيث صرت مرتبطًا بعملي حتى الساعة الثانية والنصف ولم أتمكن من الاستئذان دائمًا.

في ظل هذه الظروف وتكالبها علي اشتدت الحاجة وزادت طلبات الأهل فصرت أجد بين الحين والآخر من يمدني بشيء أستغني عنه وهو بحالة جيدة فإن احتجته استخدمته وإن لم أحتجه بعته واستفدت من ثمنه، ومن هنا بدأت المشاكل بيني وبين زوجتي فهي حتى الآن لم تستوعب الوضع جيدًا أنا لست معدمًا حتى أسجل في الجمعيات الخيرية وأجلب لك العار كما تقولين، إنني لم أعلق لوحة على باب بيتي أطلب من الناس مساعدتي، هم الذين يقدمون ما عندهم، بل إنه من الجيد والصالح يحترمون وضعي ويقدرون نفسيتي، ألم تشتك من هذه السجادة المتهالكة في الصالة اشتريتها أيام زواجي من سوق المستعمل.

الآن اتضح أنها قديمة، لا يمكنني شراء غيرها وأنت تعلمين ذلك فلماذا تطلبين؟ ثم لماذا ترفضين هذه السجادة التي جاءتنا من عمتي!!. إنها ليست غريبة ونحن لا يدخل بيتنا أحد ولا أحد يعلم بذلك، فماذا تريدين لأرضيك؟

أرجو أن تكوني تلك الزوجة الصالحة التي اخترتها، تكونين عونًا لي في الضراء وأن تصبري معي على الحلو والمر، نحن حقًا لا يمكننا اختيار أقدارنا ولكن يمكننا التكيف معًا والصبر عليها والرضا بها، الفقر ليس عيبًا.

العيب في البطالة والقعود عن العمل، ولقمة حلال من عرق الجبين أحب إلي من الذهب والفضة من طريق معوج، وما يجيئنا من الناس فضل من الله يستحق الشكر والتقدير، نحن نعرف هؤلاء الناس جيدًا وهم يحسنون اختيار ما يقدمون ووالله إننا نجد فيه ما يسد حاجتنا وما يضيرك من الفقر ألم يقل رسول الله ﷺ إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام أو كما قال فأي فضل بعد هذا الفضل!! هداك الله وأصلح حالنا جميعًا(*).

«زوجك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## صب المال في قنوات الآخرين!!

تخرجت من الجامعة منذ سنتين وحصلت على وظيفة متواضعة براتب لا يفي بمتطلباتي كشاب مقبل على الحياة - بإذن الله - أرغب في الزواج وفي شراء سيارة تليق بي بدل هذه السيارة المتهالكة التي أعطانيها والدي بعد أن أُجهد سنوات طويلة.

ألتفت إلى والدي أطلب منه العون على الزواج أو المساعدة في شراء سيارة فإذا حاله كالمثل القائل جيتك يا عبد المعين تعين.... رغم المكانة الاجتماعية التي يتبوؤها والمرتبة التي وصل لها فهو لا يملك في حسابه شيئًا ذا قيمة فأمواله كلها عند الناس (ضايعة).

مَن هم هؤلاء الناس؟ وكم عندهم؟ إنه لا يعلم فهو يقرض الآخرين ولا يكتب عليهم شيئًا، فهذا ولد عمه وهذا ابن خاله، وثالث من قبيلته، جاءه رأسًا من منطقته وبعضهم يعرفهم بوجوههم وآخرون درسوا معه أو جاوروه أعوامًا أو ربما صلوا معه في نفس المسجد. هو يخجل أن يسجل عليهم أو يأخذ منهم وصلًا بالمبلغ فيترك الأمر لأمانتهم وعهودهم التي طالما خذلته وردته خائبًا.

إنه يرى أن مجرد سؤال الناس عن الدين الذي هو حقه عيب ومشين في حق شخص مثله وفي مكانته، فهل يعقل أن يقول لأحدهم أين الخمسمائة التي أقرضتك؟ أو رد الألفين التي أعطيتك أول الشهر؟ وهل يليق بأن يأتيه ابن عمه يستقرضه عشرة آلاف ثم يقول له: خذ هذه الورقة وقعها؟ إن هذا في نظره أكبر إهانة له قبلهم، يكفيه فخرًا وشرفًا أن جماعته ومعارفه يقصدونه في حاجاتهم.

ثلاثون عامًا ونحن نسكن في ذات البيت لم نقدر على شراء أكبر منه مع مسيس حاجتنا له، وسيارة والدي اشتراها بالتقسيط بعد أن أعياه شراؤها نقدًا حيث أسلمت سيارته الثمانينية الروح.

وليت هذه الأسلاف لمن هو في حاجتها فعلًا لربما تحمل المرء قليلًا هذه الضائقة ولكنهم يستدينون لمجرد الدين فقط، فوالدي اشتهر بأنه لا يرد يد لامس للمال لذا فقد انهالت عليه الطلبات وكثرت الأيدي التي وددت لو أقطعها حتى لا تطرق بابنا أبدًا، ابن أخيه يريد أن يقتني هاتفًا نقالًا ووالده يرفض فاقترض المال من أبي الذي أعطاه دون نقاش، وصديقه في العمل اقترض منه حتى يستقدم خادمًا لزوجته، بل هناك الكثير يستدينون ليسددوا فواتيرهم، وخاصة فواتير هواتفهم المحمولة التي اشتروها لزوم الوجاهة وعجزوا عن تسديد كلفتها.

ولما جاءه أحد أبناء عمومته من المنطقة وطلب سلفة ستين ألف ريال ليكمل قيمة الأرض التي اشتراها لم يسجل والدي المبلغ ورأى أن رجلًا في مثل سنه لا يمكن أن يسرق حلال الناس، وها هي الآن سبع سنوات تمر دون أن يرد ريالًا واحدًا ولم نر وجهه بعد.

جلست مع والدي وحاولنا إحصاء الديون التي لوالدي على الناس فإذا هي قرابة المئتي ألف ريال تزيد أحيانًا حين لا يسدد البعض ما عليهم وتنقص أحيانًا حين تستيقظ بعض الضمائر وتؤدي ما عليها من الحقوق، هذا عدا بعض الفكة من أمهات الخمسمائة وبناتها التي لا يتذكرها والدي لكثرتها وكثرة طالبيها.

في موسم الإجازات تكثر الأيدي، فهذا يريد أن يسافر وليس عنده ما يكفيه فيجد عند والدي حاجته فلا يستحيي من طلبها مع أن الأمر ليس بهذه الأهمية ووالدي يخجل من سؤاله عما أقرضه وهو من حقه وله أهميته.

والبعض غسلت وجوههم بمواد حارقة فلم يعد فيها من ماء الحياء شيء، فهو يسأل والدي من غير ما حاجة ألف ريال أو ثلاثة، إنني أخشى أن يكونوا من سيئ السمعة وأصحاب المخدرات ووالدي لا يعلم شيئًا.

**والدي**: إلى متى تظل تصب مالك في قنوات الآخرين، هلا حاولت السؤال عن حاجتهم الحقيقية له، أيهما أشد إلحاحًا رغبتي في الزواج أم سفر ابن عمي؟ وخادمة صديقك؟ وأيهما أكثر حاجة لشراء سيارة لي أم دفع مبلغ لشخص ليتم عمارته التجارية؟.

**والدي العزيز**: لقد كبرنا وازدادت حاجتنا لك، فهل آن الأوان لتدفق قليلًا فيمن يستقرضون فتقبض يدك عمن لا يحتاجها وتبسطها لمن يحتاج لقد حان الوقت فعلًا لتكتب كل مالك عن الآخرين حتى نعرف مالنا وما علينا لعلنا نستطيع شراء البيت الذي طال انتظارنا له، والذي تاقت قلوبنا لسكناه، البيت الذي يليق بمن هو مثلك، أم أن لك رأيًا آخر؟(*).

«ابنك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

## ابنتي والمظاهر

كل أم تتمنى لابنتها السعادة، وتحب دائمًا أن تعيش ابنتها في حال أحسن من حالها، وهذا ما دفعني لأن أوافق على ذلك الشاب الغني من أسرة غنية، راجية ألا ترى ابنتي يوم فقر في حياتها.

واليوم لا أقول: إني نادمة على ذلك ولكن ربما لو كان زوجها من مستوانا لكان أفضل عاشت ابنتي في ذلك العالم وتريدنا أن نعيش معها أيضًا، صارت تفرض علينا طبائعهم وعاداتهم مع أنها لا تناسب ووضعنا على كل حال.

الولائم التي اعتدنا على إقامتها بين فترة وأخرى لا تعدو أن تكون من الطعام الذي اعتدنا أن نأكله مع بعض السلطات والفاكهة، لكن (وفاء) ترفض أن تدعو خالتها على (سماط الفقر) لماذا لا تنوعون معجنات حلوة ومالحة وبعض الكريمات، اطلبوا من المطعم، الآن كل شيء عارض نفسه، وتلمح وتضغط على والدها حتى يرضخ لطلبها مع أن هذا فوق طاقته.

**وكلما طق عود حصاة قالت**: لو تشوفون عزايم خالتي أقل من أربعة أصناف لا يمكن ترضى، ومن أحسن المطاعم، وهذا كله للضيوف العاديين والجيران.

لقد صرت في كل مناسبة أقدم حلويات مع القهوة والشاي بالمبلغ الفلاني من محل الحلويات الفلاني وكذا العصير الطبيعي الذي يكلفني الكثير خصوصًا إن كان عدد الضيوف كبيرًا، فالناس في نظرها تركوا العصير المعلب لأنه ضار بالصحة وحتى هندامي صارت تعيبه وتعيره خصوصًا إذا كانت مدعوة عندهم هذا قديم عندك من العام الماضي، والأحمر شكله قروي، والأخضر المشجر راحت موضته، ما رأيك

تفصلين واحد جديد يتناسب مع عزومتنا!!. لقد أحرجتني ابنتي بطلباتها كثيرًا وكأنها تجهل حالنا، كلما غيرت خالتها أثاث بيتهم طلبت منا بالمقابل ذلك، قماش الكنب صار قديم، الآن الموضة الألوان الفاتحة، وتعرفين أني على وشك ولادة وليس معقول أجلس في غرفة زي هذه.

وأمام هذا المنطق وافق والدها وقمنا بتغيير مجلس النساء والمدخل والصالة، ثم إنها دخلت السوق مع زوجها واشترت أباريق الشاي والقهوة وصواني التقديم وكاسات الشاي وفناجين القهوة وأكواب العصير بأسعار خيالية وقالت لزوجها إن أمي وصتني عليها ومعناه أن أدفع مكرهة فلا يصح أبدًا أن أحرجها أمام زوجها، كما أنه يجب أن نظهر بالمستوى اللائق أمام أهل زوجها وخاصة في النفاس.

والدولاب الذي أرغمتنا على شرائه كان من سوق المستعمل لكنه جديد وقوي لكنها قالت لخالتها أننا اشتريناه من أفضل المحلات بأسعار كبيرة وغالية، ولكم أن تتصوروا بقية الموقف حين أبدت خالتها إعجابها به مستفسرة عن مكان شرائه فأخبرتها أنا الحقيقة المرة.

إنه حتى المناسبات التي يقيمها أهل زوجة أخيه يعني حمات ابنتي تريدنا أن نفعل مثلهم ونسيت أن والدها موظف بسيط ووالد تلك صاحب مصنع بلاستيك، وصارت ترفض أن تقدم الهدايا التي أجلبها معي من العمرة أكياس حناء، سجاجيد، قطع أقمشة إلا إذا جعلت معها خاتم من ذهب أو حتى ساعة على الأقل فأهل تلك الحماة لا يقدمون إلا الذهب. لقد غرقت ابنتي في المظاهر حتى أذنيها وحملتنا من التكاليف ما لا نحتمل نفاسها هم وولادتها هم وعشاء زوجها عندنا هم آخر.

**ابنتي الحبيبة**: كم أنا سعيدة لأنك تعيشين في بحبوحة العيش، وأفرح كثيرًا بهذه الهدايا الألماسية التي تزين جيبك ومعصمك وأدعو الله أن يديم عليك نعمه ويرزقك

شكرها ولكن لسنا فقراء ولكننا أيضًا لسنا أغنياء بدرجة تجعلنا نساير طموحك ونوازي أهل زوجك. أرجو ألا ينسيك الأثاث الأمريكي واللباس الفرنسي أثاث أهلك وملابسهم وحالهم فأنت تعلمين مدى حبنا لك وخصوصًا والدك ومدى ضعفه أمامك فلا تشقي عليه وارفقي به رفق الله بك وأدام عليك النعمة فدوام الحال من المحال(*).

«والدتك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## الصدأ بين الإخوان

ما زال ذلك اليوم الذي انتقلت فيه من مدرستي إلى مدرسة أخرى في حي آخر مطبوعًا في ذاكرتي؟، ليس لأني استوحشت من الجو الجديد ولم أكن ذلك الولد الخجول ثم إني كنت في الصف الرابع الابتدائي، ولكني لأول مرة ألتقي بإخوان لي يدرسون معي في نفس المدرسة، أربعة أولاد، اسم والدهم وعائلتهم يماثل اسم والدي وعائلتي، ذهلت وعندما رجعت للبيت أخذت أفكر في نظراتهم الحادة وتعليقاتهم الساخرة، إذن هم يعرفونني وببراءة سألت والدي عنهم وببرود أجابني، هؤلاء إخوانك ونحن انتقلنا إلى هذا الحي حتى أكون قريبًا منهم فظروف والدتهم أصبحت صعبة.

منذ ذلك اليوم وأنا في قلق وضيق لا يعلمه إلا الله، نسيت طعم اللهو والمرح، سعيت بكل إمكاناتي الضعيفة لمصادقتهم ولكنها ذهبت أدراج الرياح، حاصرت والدي بالأسئلة، وألححت حتى عرفت شيئًا مما كان خافيًا علي، زوجة والدي هي أم أبنائه ووالدتي هي زوجته الأخرى لذا فوالدي اسمه أبو محمد وأنا اسمي خالد، وأم محمد هي التي رفضت هذا الفرع الجديد في شجرة العائلة وكسرته، لقد أعلنت (أم العيال) الحرب على والدي وعلينا ووضعت شروطًا لرضاها ورجوعها إلى بيتها ليس أقلها (لا أشوفها ولا تشوفني ولا عيالها يعرفون عيالي) ولم يكن والدي ضعيفًا حين وافق ولكنه آثر الابتعاد عن المشاكل حتى لو كان ذلك على حسابنا فراحة البال لا يعدلها شيء.

عشنا في شبه عزلة عن العائلة الكبيرة، اللهم إلا بعض الزيارات القصيرة لجدي وجدتي حيث لا نجد هناك إلا الخادمة التي ترعى شئونها، أما أعمامي وعماتي فنصلهم في الأعياد ونسلم عليهم، لا أذكر أني ذهبت إلى أي وليمة من جهة أقارب والدي أو حتى حفلة عرس فأنا لا أعرف جماعتي.

هذا لا يهمني كله، بالقدر الذي يهمني فيه هذا النفور بيني وبين إخواني، هذه المشاحنات بيننا في المدرسة تثير فضول البعض السب والشتم هو لغة التخاطب بيننا فأنا محط سخرياتهم في المدرسة والحارة صارت لنا حلبة مصارعة وضرب وفرق، عندما أعود إلى البيت بعد عراك بالأيدي وتراشق بالحجارة أشعر بالحسرة تعصر قلبي وتفته فتًا، والسبب أن هذا الخصم العنيد هم إخوتي، أكاد أجن وأنا أرى كل من حولي رضوا بالأمر، فلم يتدخل أحد لإصلاح الوضع وكأنه أمر طبيعي.

إنني أغبط كل طفل في الحارة أو المدرسة له إخوان، ويعجبني ذلك الرجل في السوق يتبضع ومعه مجموعة من أبنائه، ومنظر أولئك الإخوان يلعبون على الشاطئ ويتقاذفون الكرة ويتراشقون بالماء لا يغيب عن بالي أبدًا بعد رحلتنا تلك إلى ساحل البحر.

**ربما تسألونني ما شعورك؟** أقول: إنني أفتقد شطرًا من حياتي يوم كنت لا أعلم أن لي إخوانًا وبعد أن علمت شعرت بأني أفتقد حياتي كلها، ما قيمة الحياة حين تعيش صراعًا وخلافًا، مع من تسري في عروقهم دماء كدمك؟!

وما هو إحساسك وأنت في أمس الحاجة إلى أخ يشاركك همك ويقف بجانبك وقت الشدة وتستند إليه وقت الضعف حين تعلم أنك تملك هذا الأخ ولكنه بعيد عنك بقلبه قريب منك بيته؟ إن الألم يعتصر قلبي والحسرة تقطع فؤادي والهم يتلف أعصابي حين يقفز ذلك السؤال إلى مخيلتي من المسؤول؟

أهو والدي الذي رضي بهذه الشروط التعسفية في سبيل راحة باله؟ أم والدتهم التي آثرت عزلنا عنهم وأوغرت صدورهم وأفسدت قلوبهم وتسببت في فرقتنا وشتاتنا؟ أو والدتي التي رضيت أن تعيش في هذا النطاق في سبيل المحافظة على البيت والزوج مستخلصة درسًا من تجربة سابقة؟

قيموا الوضع بعد عدة سنوات، ما مصيرنا بعد وفاة والدي بعد عمر طويل أو موت والدتي لا قدر الله أو حتى موت أم محمد؟ من سيتحمل تلك المشاغبات والخلافات، من سيحل الإشكالات بيننا من سيرعى الصغار؟ ويحفظ الكبار بعد الله سبحانه؟

إنني أحمل الجميع عاقبة ما يجري وما سيجري غدًا، وأسأل الله أن يؤلف بين قلوبنا. إخوتي، مازال في الوقت متسع، مدوا أيديكم فها أنا أمد يدي لأصافحكم وأصالحكم، فهيا نتعاون لنتمَّ بناء البيت ونسد فيه الثغرات حتى نحمي قلوبنا من عوامل التعرية، تعريتها من الحب والوئام(*).

«أخوكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## إما الوظيفة أو الزوج

(لا وجع إلا وجع الضرس ولا هم إلا هم وظيفة الزوجة) كتبت هذه العبارة على لوحة وعلقتها في غرفتي راجيًا أن تراها تلك المنكفئة على دفاتر تلميذاتها المنشغلة عني بأعباء الوظيفة والتدريس، ولكن لم يحصل ذلك.

زوجتي تعمل منذ تزوجنا لم أشترط عليها شيئًا ولم تشترط علي ولكنها أحبت الوظيفة بإخلاص وتفانت في خدمتها، لم أشعر بشيء من التقصير في مستهل حياتنا؟ ربما لأن الأولاد لم يكونوا قد أتوا بعد وهي كانت حريصة على عدم التقصير حتى لا تفقد وظيفتها.

ومرت السنوات وساءت الأحوال وكثر العيال فتعكرت نفسية زوجتي وتكدر مزاجها وأصبحت عصبية معظم الوقت، مقطبة الجبين تشكو دائمًا من صداع وضيق في الصدر واكتئاب بسبب مشاكل العمل.

لا أسمعها إلا تدعو على أبنائها يذاكرون على نغمات الدعاء ويأكلون على نغماته، حذرتها أكثر من مرة من هذا مبينًا حرمته وكرهي له (ما ذنب الصغار حتى تصب جم غضبك عليهم إن كنت لا تستطيعين الجمع بين الحسنيين فاتركي التدريس وتفرغي لبيتك).

إن عملك هذا وبال علينا جميعًا، المال ولسنا في حاجته، ومهمتك في المدرسة هناك من يقوم بها والخريجات بالمئات، ثم كيف ستنتجين بهذه الأعصاب التالفة؟ أليس شيئًا مضحكًا أن تتركي أبناءك للخادمة وتربين بنات الناس؟.

زوجتي: إن هذا العبوس والتجهم على وجهك زادك عشر سنوات على عمرك، وأنساك أشياء كبيرة لعل أهمها زوجك أنا. تعودين من المدرسة قبل موعد عودتي تولين

مهمة الطبخ للخادمة، تنامين تاركة الأولاد في خناق ومضاربات والبنات عند التلفزيون والكتب مبعثرة والحقائب متناثرة وكل شيء على ظهر تلك الخادمة المسكينة.

وعندما تقومين من النوم، لم يكن هذا النوم كافيًا لتعويضك ذلك الجهد والعرق الذي بذلته فيصبح المزاج نكدًا والنفس متعبة فلا أسمع إلا صراخًا وعويلًا.

ملابس المدرسة الأنيقة استبدلت بقميص فضفاض جعلك تبدين أكبر من سنك بكثير، والشعر المسترسل جمع بعناية فائقة خلف الرأس وثبت بعدد من المشابك حتى لا ترى منه شعرة، والوجه المصبوغ بعدة ألوان نظف تمامًا بالصابون بحجة أن الماكياج يضر بالبشرة وعندما أعاتبك تقولين بغضب: «خلني آخذ راحتي شوية في البيت... في المدرسة كأني مربوطة لبسي كاتم على قلبي» ومع أنه يضايقك فإنك تفعلينه ولكن للمدرسات فقط.

عبر الوقت وأنت في عراك مع أبنائك أو مدفونة بين دفاترك ودرجاتك ثم يأتي الليل فترتمين على الفراش جثة هامدة بلا حراك من عناء يوم عمل شاق.

الوجبة الطيبة الهنيئة لا نعرفها إلا في الإجازات الصيفية «أرجوك لا تتشرط، تأكل ما أعددته واحمد ربك لا أريد نكد، يكفي نكد المديرة».

الزيارات وسط الأسبوع ممنوعة منعًا باتًا حتى لو كنت سأذهب للسلام على أمي أو عمتي وأردتها أن تشاركني الزيارة، فأنا من الرجال الذين يحبون هذا وحجتها الوقت لا يكفي، وأيضًا بابنا مغلق طوال الأسبوع فليس لديها استعداد للولائم ولا لاستقبال ضيوفي وعندما أضطر إلى دعوة أحد للعشاء ألجأ في انكسار إلى أحد المطاعم القريبة لأحضر طعام العشاء.

زوجتي الغالية: إنني أكنُّ لك كل حب وتقدير وأتحمل منك الكثير وأصبر وأعذرك في كثير من تصرفاتك ولكن لي رجاء حار وهو أن تقفي الآن وتحاسبي نفسك وتسألينها: هل الله راضٍ عنك. إذن هل أرضيت زوجك؟

إنني أقول بكل صراحة: أنا لست راضيًا عنك ما دمت بعيدة عني فاختاري بين اثنين لا ثالث لهما البيت أو الوظيفة ولك مني كل الحب والتقدير(*).

«زوجك»

❁❁❁

(*) مجلة «الدعوة».

## حتى لا تضيعوا في متاهات الأرقام

(يقولون إذا وقع الجمل كثرت سكاكينه) وهذا المثل ينطبق على حالي مع أبنائي، فأنا رجل أعمال ناجح مكثت أربعين عامًا من حياتي أنمي هذا المال وأحافظ عليه وأدرس مشاريعي بعناية وأخطط للمستقبل بكل دقة والأمور كلها بيد الله وعندما هدتني السنين وأخذت من صحتي وفكري آثرت البقاء في البيت مختارًا طائعًا لنصائح الأطباء مقدمًا الصحة على المال واضعًا كل ثقتي - بعد الله - في أبنائي موكلًا لهم أعمالي، فلقد تربوا جميعًا في ربوع تلك المؤسسة الكبيرة وهم لن يعدموا الخبرة والمعرفة.

جلست في البيت وبارت سوقي وكسدت بضاعتي وصرت (دقة قديمة) فلم يعد أحد منهم يستشيرني في شيء من أمور العمل، طبعًا في البداية كانوا يرجعون إلي في كل صغيرة وكبيرة، ثم صاروا يهملون الصغائر وبعدها نحوا رأيي جانبًا وبدأ كل واحد منهم يعمل لحسابه ويدخر لمستقبله أصبح همهم جمع المال وتوسيع النشاطات على حساب ميزانية المؤسسة، عندما أشم رائحة صفقة خاسرة أو مشروع فاشل أبادر بطرح رأيي وأشير عليهم بتركه أو التراجع عنه لأنه أسلم، ولكن يقابل رأيي بالاستهزاء وأنه رأي عفا عليه الزمن، ولم أعد أفهم السوق الآن، وأن مثلي وقيمي لا تؤكل خبزًا في هذا الزمن، أتضايق ويرتفع الضغط وأرقد في المستشفى أيامًا عدة أتألم فيها لهذه العجوز المسكينة التي ليس لها بعد الله أحد سواي، فاعقد العزم على ألا أتدخل أبدًا في أي شيء وأنسى العمل كله.

لكن صمتي وسكوتي يزيدهم استشراء في العمل فالفروع تفتتح في كل مكان دون دراسة أو روية، وأنا آخر من يعلم، والضغوط على ميزانية المؤسسة تزداد والحسابات تسوء ومع هذا لا أدري عن شيء، وكلما طلبت منهم كشفًا بالحسابات أو

مراجعة بعض المعاملات جوبهت بالرفض (وصرفوني) وأشعر أن هناك خلافات بينهم ونزاعات أخشى أن تؤدي إلى تفرقهم وتقسيم المؤسسة أو إهمالها حتى تموت، لذا كثيرًا ما أحشر نفسي بينهم وأحاول التعرض على قضاياهم وهم مع الأسف يبتعدون عني ويخفون كل شيء خوفًا علي وربما خوفًا مني.

إنه حتى رحلاتهم الخاصة وتنزهاتهم أصبحت على حساب المؤسسة (فأسامة) كل يوم والثاني في بلد هو وعائلته (وزوجة إسماعيل) باتت لا تولم إلا في أرقى الاستراحات والشاليهات، مرة أهلها وأخرى صديقاتها وثالثة صديقات بناتها، وكل واحد من أبنائي يريد أن يستحوذ على النصيب الأكبر وأن يعب من هذا المال حتى آخر قطرة، وبالمقابل فأنا لا أطلب شيئًا إلا قالوا هذا ترف وإفساد فعلى سبيل المثال: عندما تسبب السائق الخاص بي في حادثتين متتاليتين طلبت منهم استبداله بسائق جديد أفضل منه وأكثر خبرة. فالسيارة كلفتني في إصلاحها مبالغ باهظة، وربما حادثان آخران لا سمح الله يكلفاني قيمة سيارة جديدة وهذا من الظلم وأن تركت القيادة بنفسي بعد مرضي لضعف نظري وألم في رأسي يعاودني بين الحين والآخر، فكان رد أبنائي: (إن هذا ترف وإفساد للمال فكل يوم سائق جديد يكلفنا مبالغ كبيرة، والسائقون هكذا يقولون كلهم سواسية المهم أن يتعلم جيدًا بعد أن يأتي وأن تصبر عليه حتى يتقن القيادة) إذن حياتي ليست ذات أهمية عندكم، فمرة (انعدمت) السيارة، والأخرى من يدري ربما أنا سامحكم الله أما ترون حالكم مع نسائكم كل يوم خادمة جديدة تلك شكلها لا يعجب (أم فلان) والأخرى عملها بطيء والثالثة تريد عاملة فلبينية فأين الصبر على تعليمهم؟!!.

**أبنائي الأعزاء**: ليس في يدي أن أرجع إلى عملي كما كنت، ولا يهمني أن أجمع المال وأكدسه ولكن راحة بالي وسعادة نفسي أن أرى المال خادمًا لكم ولستم أنتم خُدامه، لا تجعلوه يفرق بينكم، ولا تجعلوه كل همكم حتى لا تضيعوا في متاهات الأرقام، وتذكروا جيدًا أن وراءكم حسابًا عسيرًا «**وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟**» فالله الله بالحلال الخالص والنية الصادقة واسلموا(*).

«والدكم»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## قيدت زوجتي فقيدني المرض!!

تزوجت منذ زمن فتاة فيها كل ما يتمناه رجل، أحببتها وتعلق قلبي بها وعشت معها أحلى لحظات عمري ربما من جانبي أنا فقط كان يكدر هذه السعادة دقائق تجهش فيها بالبكاء دون سبب واضح وحين أسألها تقول إنها اشتاقت إلى أهلها.

مرت الأيام سريعة وزادت معها موجة البكاء تلك، كانت تبكي بألم، تنسل من الفراش وتتجه إلى الغرفة المجاورة وتبكي حتى أسمع نشيجها لم تكن تحدثني كثيرًا وكانت تقابل حديثي لها بابتسامة بدأت تذبل مع الأيام أمي أحست أن هناك شيئًا ما صارحتني في غياب زوجتي: شف يا ولدي الله مقدر لك أمر ولازم ترضى به، بنت الحلال ما منها تقصير لكنها... الله أعلم إنها ما حبتك.

فاجأتني والدتي وصفعتني المفاجأة. هل يعقل ألا تحبني وما العيب الذي جعلها تنفر مني لا. لا يبدو أن والدتي واهمة. ولكن.. ولكن النساء أدرى بحال بعضهن.. أعدت شيئًا من شريط الذكريات وتوقفت عند محطات معينة أدركت من خلالها صدق حدس والدتي، فما الذي يجعل زوجتي تحاول الهرب مني بأي وسيلة، إنها تجلس مع أمي وأخواتي، وتحادثهن ويتبادلن النكات والمرح والسمر وحين أدخل عليهن يصيبها الوجوم.

قررت مصارحتها وأنا بين مصدق ومكذب لعل هذه الظنون تتلاشى (اسمع يا خالد لم تقصر معي في شيء لكن هذا شيء لا أملكه، من يوم تزوجت وأنا أحس بضيق وكآبة وكتمة خصوصًا إذا كنت معك، حاولت أتطيب، تعالجت وقرأت وما رأيت

فايدة، صحتي تدهورت، وإذا كنت عند أهلي لا أحس بأي شيء من هذا لكن بمجرد أنك تتكلم لأجل تأخذني ترجع لي الحالة. أرجوك طلقني وريحني الله يريحك) ثم أجهشت بالبكاء.

تذكرت كلام والدتي وأخذتني العزة، أخذتها لبيت والدها لترتاح عدة أيام، وبعدها يأتي خير، انقضت الأيام ولم أر خيرًا لقد رفضت أن تعود صارحتني بأن ليس في قلبها مثقال ذرة من حب لي، جن جنوني وركبني الشيطان نسأل الله العافية والسلامة وقادني وأسلمت نفسي إليه، كيف أهبها قلبي فتدوس عليه بأقدامها، وأمنحها حبي فتلقي به في بحر الحرمان والله لأذيقها الأمرين وأرد لها الصاع صاعين، لقد أهانتني وجعلتني محط شماتة لذا فقد ثأرت لنفسي، لم أطلقها ولم أعدها إلى بيتي أبقيتها معلقة سبع سنوات افتدت نفسها بما تملك فلم أقبل، لم يكن المال هدفًا لي، جعلت هدفي إذلالها والحط من كرامتها أريد أن أعلمها درسًا لا تنساه صممت أذني عن قول كل ناصح ورفضت سعي المصلحين، ولكي أمعن في إذلالها كنت أتصل بها بين الحين والآخر لأسمعها السم الزعاف.

بعد فترة قصيرة تزوجت ليس رغبة في الزواج ولكن حتى أفرد عضلاتي في وجه هذه الضعيفة أكلمها في الهاتف (تزوجت وزوجتي حامل، وبيجيني عيال وأنت اقعدي في بيت أبوك...) (والله لأزهدك في الرجال حتى تعرفي قيمتي) (لا تفكري أني أرجعك ولا أطلقك خليك معلقة).

(وبعد ما انطحنت البذور اللي في رأسي مثل ما يقولون) جعلت مبلغًا كبيرًا لتفتدي نفسها مني، وتم لي ما أردت فجاء والدها ومعه بعض الأقارب سلموني المبلغ وأخذوا الورقة وقال والدها (الله يوريك في نفسك ما تكره).

مرت على هذه الحادثة سنين طويلة نسيت معها كل شيء، إلا أنني الآن أقلب الصفحات القديمة، أعبث بأوراقي أعض أصابع الندم، دعوة مظلوم لا ترد أصابتني فطرحتني على الفراش، بل القيد الأبيض آذيت المسكينة وقيدتها في سجن الزواج فقيدني الله في سرير المستشفى.. مرض خبيث وعلاج إثر علاج وألم ومعاناة ووحدة كلها أحيتني من غفلتي فها أنا ذا أطلب منها العفو والمسامح كريم(*).

«زوجك السابق»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## الحياة تحت صفر البرود

المرأة رحمة ومودة، سكن وراحة، هي نصف الحياة وحين تطيب تصبح نصفها الآخر، هي الأم الرؤوم والزوج الودود، والبنت الحنون، افتقدت المرأة في حياتي، أمي - رحمها الله - ودعت الحياة وأنا في المهد، ليس لي أخوات أو عمات، فأنا متعطش لحنان المرأة وحبها، لرحمتها وودها، فتزوجت آملًا أن تروي زوجتي ظمئي، أن تشعرني بحنان الأم وعطف الأخت ومحبة الزوجة.

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فزوجتي لم تجعل لها حضورًا في وجداني ولم تجعل لنفسها مكانًا عليًا، كان بإمكانها أن تملكني، أن تستحوذ على قلبي لأنه كان شاغرًا، ليس في حياتي امرأة سواها، ومع ذلك فقد فشلت!! لا، إنها لم تفشل، إنها أصلًا لم تحاول.

هي باردة في عواطفها وأحاسيسها لا تأبه بوجودي ولا تبالي بغيابي لا تقلق حين أتأخر، بل أجدها تغط في سبات عميق.

أسافر في مهمة للعمل فأنجزها في مدة قياسية ثم أعود لبيتي على جناحي السرعة، أتلهف لرؤيتها وسماع حديثها، أحضر لها أثمن الهدايا فلا أسمع إلا (كثر الله خيرك) (الحمد لله على السلامة) تقولها كما أقولها لمديري حين يعود من سفر.

أعلم أن زوجتي (أم يوسف) تحبني ولكنها ربما تعجز عن التعبير؟ أو تخونها القدرة في تلك اللحظات أو أن اعتقادها بمعرفتي بما في قلبها كافٍ عن ذلك كله.

أنا رجل (بيتي) أحب البيت وآوي إليه كما يأوي الطير إلى عشه، أجد فيه الأمان وأبحث فيه عن الهدوء النفسي والاستقرار العاطفي، لست كهؤلاء الرجال الذين جعلوا بيوتهم فنادق للنوم فقط. ولست من أولئك الذين يجلسون في بيوتهم كرجل

المرور يراقب الحركة ويوجه الأوامر، كما أنني لا أحب أن أكون كطالب الثانوية المجتهد لا تراه إلا ممسكًا بكتاب أو منكبًا على كتاب.

في بيتي أحب أن أجلس مع زوجتي أحادثها وأسامرها، أبثها همي وأمنحها مشاعري، أشاركها فرحها وترحها، أصير لها الأب والأخ والزوج.

لا أعرف إن كان ذلك مما تحب النساء أو تكره، ولكني موقن بأنني خير من كثير من الرجال، نعمة لم تقدرها زوجتي حق قدرها، آتي منهكًا من العمل الميداني أتمنى فنجان قهوة أو شاي يريح أعصابي فأجدها في كامل زينتها متهيئة لزيارة جارتنا المريضة، هي تعلم مقدار حاجتي للراحة والجلسة الهادئة ولكنها ترى أن جارتنا أهم. أجلس في البيت كبقية الأزواج أضحك وأفرح فتنهرني بحجة أن الخادمة ربما تسمع وهذا لا يليق.

حين تتحدث فحديثها في العمل والأصدقاء وحاجات المنزل والأولاد، أحاديث جامدة كأننا في مكتب عمل.

الجدية حقًا مطلوبة ولكن ليس إلى حد أن تشاركنا الأيام الأولى في حياتنا أو تقاسمنا زوايا البيت وحجره.

الرجل يتزوج ليكمل نصفه الآخر، يبحث فيه عما يفتقده فإن وجده وارتوى منه اكتمل بدر حياته وأشرقت دنياه حتى وإن دار البدر دورته فلا بد له أن يؤوب إلى استدارته وهذا أمر طبيعي في كل البيوت. ولكن إن لم يجد الرجل نصفه الآخر عاش نصف الحياة وفقد السعادة وركبته الهموم وصار كل همه أن يبحث عن نصفه الضائع لتتم له السعادة، ألسنا جميعًا نبحث عن السعادة؟

**أم يوسف**: لن أقول لك أنني سأتزوج ولن أهددك بالطلاق، فقلبي رقيق لا يحتمل ذلك، ولكني سأبذل كل المستطاع لأحفظ هذا الكيان من الانهيار، وأرجوك أنت أيضًا أن تحاولي التغيير، أفصحي لي عن مشاعرك، شاركيني أفراحي وأحزاني، عبري عن حبك وإخلاصك، أشعلي فوانيس المرح في بيتنا، في عشنا اسمعينا شقشقة العصافير وتغريد البلابل، ابعثي الدفء في جوانحنا وأذيبي ثلوج الرتابة والملل لتصفو لنا الحياة، والله يحفظك(*).

«زوجك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## شكرًا زوجتي الصابرة

لم تكن تلك الدورية هي التي تجمعنا فقط، فحب السفر والمغامرة والسباحة وصيد الغزلان وتعلم بعض اللغات الحية والسهر في الاستراحات كلها من الأشياء المشتركة بيننا إضافة إلى كوننا زملاء عمل يضمنا مكتب واحد.

لنا مفاهيمنا في الحياة (حين تجمع القرش إلى القرش تطول خطوتك يعني تستطيع السفر إلى بلاد بعيدة) البيوت في نظرنا لا تصلح للسهر نبحث عن الاستراحات المخيمات، نسهر ونلعب الورق ونشاهد الدش بغثه وغثيثه، نضحك حتى تكاد تتمزق منا الأشداق، نذوب في اللعب فننسى أنفسنا نسب ونشتم و.....

هذا العالم جديد علي لم أكن كذلك منذ سنوات لكن الطريق بدأ بخطوة واحدة ثم خطوات فمشي ثم هرولة ثم جري لاهث يعقبه سقوط والعياذ بالله تكون نهايته موت أو حياة جديدة. اقتحمت هذا العالم دون سلاح، بهرني ببهرجه، وغرتني سعادته صرت كالببغاء أردد ما يقولون وأقلد ما يفعلون، فضعف إيماني واهتزت شخصيتي.

بدأت أفرط في كثير من مسئولياتي تجاه والدي وزوجتي وأبنائي، رميت الحمل على ظهر زوجتي المسكينة، صارت ابنة بارة لهذين الشيخين، وأبًا حنونًا على أبنائه، قامت بأداء هذه الأدوار على أكمل وجه فكانت طيبتها وإخلاصها دافعًا لي إلى مزيد من الهروب والتقلب، كثر سهري خارج البيت تقريبًا كل ليلة، لا أعود إلا قبيل الفجر بقليل، أرمي هذه الجثة المنهكة على السرير وأغط في نوم عميق بلا حراك حتى يأتي موعد العمل الرسمي فتقوم معركة كلامية كل يوم لأنهض من فراشي متجهًا إلى عملي، بوجه متجهم ومزاج متعكر، وهي تقابل كل هذا بوجه صبوح ودعاء طيب بأن يهديني الله ويصلح حالي.

صرت فظًا غليظ القلب مع أبنائي ووالدي ومعها، كلما طلبوا مني شيئًا نهرتهم (أنا مشغول، ليس عندي وقت لمشاويركم التافهة- وكأن مشاويري مهمة وضرورية- والمال صرت أدخره وأشح به عليهم حتى أستطيع السفر مع الشلة، الكسوة مرة واحدة في الصيف، مبلغ بسيط أصرفه كإيجار يومي للسكن في إحدى البلدان السياحية أرى أنه يكفيهم وزيادة، البيت خال من مستلزمات المعيشة أجعل فيه ما يكفيهم الموت جوعًا (أرز – دقيق – سكر – وخلافه) فلو أكملت لهم لوازمهم فماذا سيبقى لي لأرفه عن نفسي؟. سنوات وأنا على هذه الحال لم أر من زوجتي المسكينة الصابرة إلا الدعاء وبشاشة الوجه، آتي في ساعات متأخرة من الليل فأجدها على سجادتها تصلي وتدعو الله وتبتهل إليه أن يهدي زوجها ويرده إلى رشده وأن يحفظه من كيد الأشرار وشياطين الإنس والجن، كانت كلماتها التي توجهها لي رقيقة كالنسيم، لم ترفع صوتها في وجهي، ولم تجلسني لتحاسبني، كانت تعفو كثيرًا وتسامع، كان قلبها كبيرًا وصدرها رحبًا وسع أخطائي وتجاوزاتي، كانت تبرر تقصيري أمام والدي، تطلب منهما أن يدعوا لي ألا يغضبا علي أن يعذراني لأنني مشغول عنهما بمكابدة الحياة، وأبنائي يرفعون رؤوسهم افتخارًا بي، لم تؤلبهم علي، ولم تحاول فضحي أمامهم (والدكم مشغول بعمله وهو يشقى لأجلكم، لا تكثروا عليه الطلبات ولا تحملوه ما لا يطيق،إذا الله وسع عليه في رزقه فأنتم أول المستفيدين).

كانت تصرف على البيت والأولاد، بل حتى على والدي من مرتبها فهي موظفة في إحدى الدوائر الحكومية، صحيح إنه مبلغ بسيط لكن الله بارك فيه ونفع به فهي تسدد وتقارب، في كل مرة أسافر أجد بين ثنايا أمتعتي رسالة رقيقة العبارة، صادقة الإحساس تنبع من قلب محب مخلص ناصح تذكرني فيها بالنهاية وتشفق علي من سوء الخاتمة (حين تجعل من رضا نفسك هو همك الأوحد تذكر أن لك أبناء سيفعلون ذلك

أيضًا، الحياة سلف ودين) (أرجوك أن تعود لنا بخير وعافية ولا تدع في سفرك طاعة الله، فاحرص على ما ينفعك وترك ما يخزيك).

الصبر ثم الصبر ثم الصبر كان زادها في الحياة، والدعاء لم أذكر أنها تركته لسانها رطب به وبذكر الله، لم تيأس ولم تمل من النصح وإبداء المشورة صمودها كان يدفعني دائمًا إلى مواجهة نفسي، دعاؤها كان حافزًا لي على الوقوف هنا عند هذا الحد، أين الصواب. أين (سيف) قبل هذه السنوات؟ ماذا فعلت بنفسي؟ بوالدي؟ بأبنائي؟ بها هي؟ ما الذي يبقيها في بيت كالنزل، للنوم فقط تخدم والدي وتبرهما أيضًا وهي غير مسئولة عنهما؟ والدها غني وبيته مفتوح لها متى أرادت، ما زالت في شبابها وجمالها، هي تملك شيئًا فقدته، نسيته منذ سنين، أين هو؟ أين هو؟ أبحث عنه في تضاعيف وجداني، في حجرات فؤادي تراكم عليه الغبار والران والذنوب والغفلة، علته الغشاوة والضلال لكنه موجود - بإذن الله - سأصقله سأجده سأعود إليكم (سيف) الذي تعرفونه سأكون على قدر المسئولية سأصير كفؤًا لك ولكن لن أوفيك حقك فجزاؤك عند الله سبحانه الذي لا تضيع عنده أجور المحسنين.

ربما أن هذه الساعة التي أحادث فيها نفسي في هذه الغربة هي ساعة دعاء رفعت فيها زوجتي أكف الضراعة إلى الله سبحانه أن يهديني ويردني إلى رشدي وديني فوافقت ساعة استجابة فحمدًا لله على هدايته وتوفيقه، وشكر الله لك زوجتي صبرك ودعاءك(*).

«زوجك»

(*) مجلة «الدعوة».

## حائر.. بين أمي وضرتها

تزوج والدي وحدثت ضجة كبيرة في بيتنا لماذا يتزوج؟ وتساءلت بيني وبين نفسي ولماذا لا يتزوج لقد أبيح له ذلك؟ وشنت والدتي حربًا شعواء وقاطعت أبي منزليًا فلم تعد تكلمه ولا تخدمه بل إنها فرضت على البيت حصارًا فلا يدخله والدي ولا يرانا ولا نراه إلا قليلًا.

والدتي ذات شخصية قروية تدبر البيت وتدير أموره، هي الآمرة الناهية وكلمتها نافذة على الجميع بمن فيهم (أبي)، ووالدي طيب كريم، رقيق القلب تغلبه دمعة في عين إنسان، لا أدري كيف خطا هذه الخطوة الجبارة.

المهم كنا أمام زواج والدي فريقين، مؤيد في الخفاء طبعًا وفريق معارضة علنًا وصراحة، وكنت أتزعم الفريق الأول وحين نجتمع مع بعضنا أحث إخوتي على الهدوء وضبط النفس إن والدنا لا يجوز أن نقاطعه أو نعبس في وجهه حين يحضر، يفرحنا ما يفرحه هو لم يفعل محظورًا وربما كان وراء عمله دوافع نحن لا نراها ولا نعلمها، النساء كلهن لا يرغبن في هذا الأمر، هذا شيء طبيعي ولكن الأيام تمحو الآلام بإذن الله، وستعود المياه إلى مجاريها بعد حين ويجب أن نسهل لها الدروب.

كان حديثي يأتي أحيانًا بنتيجة، ووالدي، يقابل كل ردود الأفعال هذه بصمت، يدخل يسلم على الصغار ويسلم على الكبار ويسأل عن حاجتنا ثم يخرج.

قال لي ذات يوم: إن زوجته طيبة وهي تود لو ترانا، تزورنا ونزورها فراقت لي الفكرة فأخذت هدية قيمة ورافقتني زوجتي وقمنا بالواجب والسلام عليها، كانت طيبة بشوشة استقبلتنا بحرارة وأقسمت ألا نخرج دون عشاء وأكدت علينا أن نكرر الزيارة، إنها ليست كزوجة الأب التي كنا نقرأ عنها في القصص ونحن صغار كنا

نذهب إليها سرًا دون علم والدتي، ولقد أبدت لنا الرغبة في السلام على والدتي وأن تكون أسرة واحدة يلفها الحب والوئام، أخبرتها أن الوقت لم يحن بعد وحين يكون هناك فرصة فلن نتوانى عن استقبالها لصالح الجميع.

ولم يدم الحال طويلًا فلقد علمت والدتي بأمر هذه الزيارات فغضبت علي وطردتني من البيت، بحثت عن سكن قريب واستأجرته، وكانت هذه بداية المتاعب الحقيقية، أحب والدتي، فلها فضل كبير علي ولا يمكن أن أغضبها أو أعقها، وكذلك والدي لم نر منه في حياتنا ما يسوءنا حليم سمح كريم ورضاه مهم بالنسبة لي وزوجته (خديجة) تأسرنا بكريم خلقها وكبير فضلها ذات خلق ودين لم تغير والدي ولم تؤلبه ضدنا ثم إنها أم لإخواننا الآخرين فلماذا نقطعها ونهجرها، نحن إذن نهجر بيت والدي.

إن خديجة أثبتت لنا مع الأيام صدق نواياها وحسن أدبها، ووقفت معنا مواقف لا تنسى كان أولها حين ثارت والدتي لما علمت بخبر زياراتنا لها فذهبت غاضبة إلى بيت (جدي) أخذت الخادمة والطفل الرضيع وتركت البيت لأختي (سمية) لترعاه وتهتم بشئونه قالت لأبي (عيالك اللي تعصيهم علي تكفل بهم) فأخذ والدي إجازة قصيرة حتى تعود الأمور إلى سيرتها الأولى انتهت الإجازة ولم تنته المشكلة.

سمية تعود من الكلية مجهدة منهكة والبيت فوضى وإزعاج وقلق ليس فيه موطئ قدم للراحة، وزوجتي معلمة لا يمكنها القيام بشيء في هذه الأزمة ثم إن بيتها يتطلب منها جهدًا لذا فقد قدمت (خديجة) الحل، الصغار يأتون عندها صباحًا حتى العصر والغداء تقوم بإعداده لأهل البيت كل يوم وفي آخر الأسبوع ترسل خادمة أهلها لتقوم بأعمال الغسيل والكي وخلافه.

ما الذي يدفعها لعمل ذلك كله إن لم يكن الحب، حبها لوالدي، وطلبها رضاه وحبها لنا والتقرب منا والتودد، إلينا. إن والدتي دائمًا تطلب مني ما أعجز عن عمله: لا

تكلمها لا تذهب لزيارتها لا تدع أبناءك يزورونها وحين تكون عندي مناسبة عائلية ترفض أن أدعوها ودائمًا تحشو عقول أخواتي ضدها لذا فالبنات كلهن في صف والدتي والمرة الوحيدة التي ذهبت فيها البنات للسلام على زوجة أبي حين أنجبت (حسين) كن فيها متجهمات لم تحاول أي واحدة منهن أن تقدم هدية ولو بسيطة أو كلمة طيبة واحدة.

ووالدي يفرح كثيرًا حين يرى ترابطًا وهو يحضر إخوتي الصغار معه حين أدعوهم إلى بيتي يقول «يتعرفون على إخوانهم» ويحب هذا التواصل، فهو إذا انشغل بعمل ما أوصاني للقيام ببعض المهمات لبيته الثاني، آخذها مثلًا للسوق، أكمل بعض أغراضها وهكذا فهل يمكنني أن أرفض أو أثير غضب والدي، اتق ثورة الحليم إذا غضب.

**أمي الحبيبة**: حبك في قلبي لا يوازيه حب، ومكانتك تعلو الجميع وأنا حين أخدم أي امرأة من قريباتي خالة أو عمة أو جدة، فإنك تفرحين وتزدادين نشوة حين تسمعيهن يدعون الله أن يوفقني ويحفظني لك ولأبنائي، إنك دائمًا تقولين لي أنك ترفعين رأسك افتخارًا بابنك البار (محمود) الذي هو أنا، فتخيلي أن هذه المرأة التي أساعدها وأبرها هي أخت لك أو خالة أو عمة وأن في برها ورضاها زيادة لي في الأجر لأنه بر وصلة وإكرام لوالدي ثم من يدري فربما يكون أبناؤها خيرًا لك من أبنائك، أرجو ألا ترهقي نفسك بالتفكير فيها كثيرًا وابنك البار. بار دائمًا ومع الجميع ودمت(*).

«ابنك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## مرارة وحسرة وقضبان

اليوم تشتكي تطلب مالًا، تبحث عن حل حين ضاقت بك الدنيا تذكرت نصائح والدك، نصحتك فلم تستمع ووجَّهتك فلم تبال. ماذا تريد مني الآن؟ أنت تعلم أن رأس مالي هو النصيحة وقد محضتك إياها فضربت بها عرض الحائط.

**موظف متواضع أنت:** هل نسيت حين بدأت تبني بيتك هذا؟ لقد كلفت نفسك هذه المبالغ الضخمة له إرضاء لزوجتك ولشهوتك، لم تفكر مطلقًا في عاقبة الأمر، حب الظهور والتباهي والتميز أعمى عينيك، ديون فوق ديون، وغارمون متربصون وعجز وفقر كلها اتفقت عليك وأردتك، أناس يطالبون بحقهم وهو حقهم لا مراء فيه، هل تبخسهم حقهم؟ هل تنكره؟ من أين لك السداد؟ لماذا تشتري أطقمًا للجلوس وللضيوف بعشرات الآلاف وكان في مقدورك أن تحصل على نوع جيد بسعر يناسبك؟ هل كان ضروريًا أن تستدين ليغطي الرخام أرضية بيتك وواجهته، إنك لم تترك حتى الحمامات – أعزكم الله – فحرصت على تحليها بإكسسوارات فاخرة.

أخزى الله هذا التقسيط الذي يدفع البعض لأن يشتروا دون حساب على أمل أن يسددوا أقساطًا تلو أقساط قد يعجزون عنها لتراكمها ثم تكون الكارثة.

البيت مأوى وسكن وحين يكون جاهزًا لتأدية مهمته تلك فهذه نعمة عظيمة والأثاث وتوابعه تكون بالتدريج جزءًا جزءًا بما لا يثقل الكاهل ولا يمص الجيوب.

لقد نسيت يا ولدي ابن من أنت؟ نسيت أنني عشت الفقر صغيرًا وكبيرًا وذقت الحرمان، قاسيت الآلام لأوفر لكم اللقمة الحلال، إخوتك كلهم موظفون صغار فتحوا بيوتهم بشق الأنفس، هي حقًا بيوت صغيرة لكنها ضمتهم وآوتهم لكن هذا هو

طبعك الذي طبعت عليه، منذ كنت صغيرًا كنت لا تنظر إلا إلى الأعلى تحب الثراء والوجاهة، تتمنى أن تناسب فلانًا أو فلانًا، كنت ترى في المال كل شيء.

جميل وها أنت الآن ستبيع بيتك من أجل المال، وتضيع زوجتك وأبناؤك من أجل المال، أصبح المال مصدر شقاء لك، مبالغ طائلة لا قبل لنا بها، هي في رقبتك والغارمون لن يتركوك فهذا أحدهم يرفض كفيلًا فماذا فعلت بنفسك يا ولدي؟

أبناؤك من سيتحمل نفقتهم؟ زوجك إلى متى ستصبر؟ إن حياتك الجديدة ثمن لشهوة زائلة ونزوة عارضة تدفع ثمنها، لم ترد إلا التباهي والشهرة وهذه نهايتها مرارة وحسرة وقضبان حديدية، إن كلامي موجع لكن ألم تستلزمه العافية.

ثق يا ولدي أنني سأبذل قصارى جهدي وأستمد العون من الله وأسأله وأتضرع إليه أن يعينك على سداد ديونك وأن يتحمل عنك وكفى بالله كفيلًا، وأرجو ألا تترك الدعاء وأن تبتهل إلى الله أن يرفع عنك هذا الهم ويفرج كربك ويسدد دينك. ثم إنني ما زلت أطرق باب المحسنين أريق ماء وجهي عند عتباتهم أطلب المساعدة، هذا يردني، وذاك يعطيني القليل، وآخر يوجه لي النصح بعدم الاستدانة والبعض يرفض بحجة أن الدين لم يكن للضرورة، فعسى الله أن يوفق مسعاي وينفع بالأسباب وإلى ذلك الحين أرجو ألا تغفل عن الدعاء طرفة عين، وفقك الله وقضى عنك دينك(*).

«والدك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## فقير عاطفيًا والحنان المطلوب

كنت غريقًا أوشك على الموت، أسبح في وحل من الطين، يجذبني نحو الأعماق المهلكة يئست من الحياة وكرهت الموت في آن واحد، لم يخطر لي على بال أن الله سيرسل من ينقذني ويمد لي طوق النجاة.

عشت طفولتي وشيئًا من شبابي في مدينة صغيرة تبعد عن العاصمة كثيرًا، توفي والدي وأنا جنين في بطن أمي ولحقت به أمي بعد سنوات، عشت في بيت أخوالي لا أم ولا أب ولا جد ولا جدة كنت مهملًا وعبئًا ثقيلًا عليهم، لم أشكُ لأحد ولم أتكلم مع أحد، لا أطلب شيئًا... كنت مهيض الجناح كسير النفس... ينقصني الكثير لكنني لا أتحدث فيكفيني اللقمة أسد بها جوعي، نشأت غريبًا في بيت شغل أفراده عني بتوفير لقمة العيش لأبنائهم... كان حالهم مستورًا...لذا عشت على الصدقات من فلان وفلانة. مما أشعرني بالذل والهوان، المدرسة لا تعني لي شيئًا.. ليس لي فيها صداقات تعودت الوحدة والاعتزال عن الناس... لم أكن أجرؤ على رفع رأسي حين الحديث مع أحد ولم تكن عيني لتقع على عين أحد حياءً وخجلًا وكنت أواجه بالتعنيف من أخوالي والسخرية من أبنائهم حتى كرهت نفسي والمدرسة والبيت والناس وحين بدأ نساء أخوالي وبناتهن يحتجبن عني شعرت بالعزلة أكثر.

نتيجة هذه الضغوط المتواصلة بدأت حالتي النفسية تتدهور وصحتي تسوء كنت أغلق باب غرفتي وأبكي وأحيانًا أمتنع عن الطعام أيامًا وفي حالات قليلة أثور لأضرب أي شيء في يدي بالجدار، هنا تغيرت نظرة الجميع لي بدأوا يرتابون مني ويهمسون فيما بينهم واشتهر أمري في جماعتي حتى وصل إلى خارج مدينتي.

ذات يوم جاءني خالي ومعه رجل لا أعرفه، قال: إنه من أبناء عمي. والدي لم يكن له أشقاء، هو من أبناء عمك البعيدين، يريدك أن ترحل معه إلى العاصمة.

لا أعرف ماذا أصابني لكنني بكيت، ثم صمت فجأة ولم أستطع أن أقول شيئًا.

في الغد كنت أجهز حقائبي بكيت أيضًا لفراق أخوالي، الذين وعدوني بحياة أفضل فأبناء عمومتي هؤلاء من كبار التجار. وصلت إلى العاصمة، لم أستطع أن أرد على عبارات ابن عمي الترحيبية الحارة، ذلك لأنني أعاني من التأتأة التي اكتسبتها من حياة العزلة والانطواء ولكن في غضون سنوات أصبحت شيئًا آخر.

عبد الله الشاب الخجول الذي لا يكاد يرفع رأسه ولا يبين صوته خجلًا صار ذا شأن فهو مسئول في شركة يدير الاجتماعات ويعقد اللقاءات ويتحدث ثلاث لغات، ابن عمي الذي صرت أناديه بعمي انتشلني من ذلك العمق المظلم والقرار السحيق ورفعني إلى مكان سامٍ مرموق.

ألحقني بالمدرسة لأواصل تعليمي، جعل لي سريرًا مع أبنائه لأندمج معهم، كانوا يأخذونني إلى أحد المراكز الرياضية لأمارس الرياضة أسوة بهم. وأحيانًا نشارك في رحلات تقيمها جماعة التحفيظ بالجامع، تعرفت على أناس كثيرين وتعلمت الشيء الكثير، كان عمي يدفعني لتكوين صداقات جديدة ويبدي سروره لذلك. يكلفني بالقيام ببعض المهام المتعلقة بالبيت، ويطلب مني أحيانًا الرد على هاتفه الخاص، وتسجيل أسماء المتصلين ويأخذني في بعض رحلات عمله القصيرة.

اشترى لي سيارة وألحقني بمدرسة تعليم القيادة، فقد كان هذا الأمر يرعبني في السابق. لقد أعاد لي شخصيتي ورد ثقتي بنفسي، دفعني إلى النجاح وشجعني على العمل والإبداع، أغدق علي المال وراقبني، علمني كيف أصرفه وكيف أستثمره كان يوجهني بكل رفق ويعتذر لي دائمًا عن تقصيره معي. ومع كثرة مشاغله إلا أنه أبدى

اهتمامًا كبيرًا بنجاحي بقسم اللغات وكان يقول: «متى تتخرج علشان أشغلك عندي في الشركة في العلاقات العامة» وكان هذا دافعًا لي لمزيد من التحصيل والتفوق.

كانت فرحتي لا توصف حين يناديني (اسمع يا ولدي) ويعرفني بكبار الشخصيات والأعيان يقول: «هذا ولدي عبد الله» والذي يستفسر يزيده «ولد أخوي».

عشت في بيت عمي معززًا مكرمًا، شملني أبناؤه بكل الحب والاهتمام لقد كانوا كرماء فعلًا. هذا ما كنت أحتاجه فلست مجنونًا أو مريضًا نفسيًا كنت أفتقر إلى العاطفة. أجدب قلبي وجفت أحاسيسي وفقدت السند والعضد ولو استمر ذلك الحال لكنت الآن في عداد الهالكين.

فلك الحمد يا رب مهما عملت فلن أؤدي شكر نعمتك. وأنت يا عمي سأبذل كل ما أستطيع في سبيل راحتك ولا أزال مقصرًا حتى وإن قال أبناؤك مازحين: «عبد الله ما بقى لنا مجال للبر» وفقك الله وجعل الجنة مثواك وأطال عمرك على طاعته(*).

«ولدك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## متى ترسو على شاطئ الإيمان؟

من نقطة البدء من أول يوم ترى عيوننا النور، خرجنا لهذه الدنيا ضعيفين هزيلين. شاركتني الرحم، وقاسمتني الغذاء، وزاحمتني في المهد، زحفنا وخطونا ونطقنا أول الحروف سويًا، لعبنا وتخاصمنا وحين نظرنا إلى صورتنا في المرآة ضحكنا: أهذا الحد نشبه بعضنا أين حسن؟ وأين حسين؟

صعدنا سلم الحياة من أول درجة، دائمًا لنا نفس الزي، ونفس الحذاء، وذات الحقيبة والناس يتساءلون أين حسن وأين حسين؟

جلسنا في الفصل في درج واحد رفضنا أن يفرق بيننا المعلمون، فميولنا الدراسية واحدة، وهواياتنا واحدة، وحين نلعب الكرة فإننا نضربها بطريقة واحدة بقدمنا اليسرى فنبهر أصدقاءنا في المدرسة بهذا التشابه فيذهلون أين حسن وأين حسين؟

وركضت السنون مخلفة وراءها ذكرياتنا العبقة الجميلة، كاشفة لنا عن واقع مر يفرض سؤالًا كبيرًا بحجم الألم الذي نعيشه، سؤال لم يعد للتفكه والتعجب أين حسن الآن وأين حسين؟ لم يعد التفريق بيننا صعبًا، فاللحية حسمت الأمر أحبك يا نصفي الآخر حبًا صادقًا لا يشك في ذلك عاقل وهل يبقى العمر محاقًا؟! إنني أنتظر اكتمال بدري في كل مرة أرى فيها الهلال ضعيفًا خافتًا، لذا أمحضك النصح وأشفق عليك وأتمنى لك كما أتمنى لنفسي حياة خصبة يسقيها وابل الإيمان فتثمر يقينًا وصدقًا وتوكلًا على الله كأطيب ما يكون الثمر، حياة إيمانية تشرح الصدر وتريح البال يكون فيها رضا الله ومحبوبات الله مقدمة على رضا نفسك ومحبوباتها.

اسمح لي يا توأم الروح أن أقول لك بكل الحب المعجون بالصراحة، إنك غافل لاه عما يهمك في أمر دينك وآخرتك، مقصر في حق ربك وخالقك ابتلعتك الدنيا بزخرفها وبهرجها، أنت عبدًا لله الذي وسعت رحمته كل شيء فلماذا لا تتعرض لنفحاتها؟

تعمل وتكد وتنصب، ولكني أخشى ألا تحمد العمل ولا ترض العاقبة، لأنك تعمل لغير الله وتنصب في غير سبيله تعمل لنفسك ولولدك تتعب للدنيا ولتحصيل أطماعها، ثم تجد عاقبة هذا الكد والعمل شقاء في الدنيا وعذابًا وخزيًا في الآخرة، أعاذنا الله وإياك من الخذلان وعذابًا.

إنك على استعداد لأن تجوب المعارض بحثًا عن قطعة فنية تضيفها إلى بيتك ولا بأس ولكن الجامع على بعد دقائق تقام فيه الدروس والمحاضرات والدورات العلمية ولم تكلف نفسك مرة واحدة الحضور والاستماع.

وقبل ذلك هجرك لصلاة الفجر في المسجد منذ سنوات فضلًا عن تضييعك للصلوات الأخرى وخروج وقتها أحيانًا قبل أن تدركها، كل هذا ولا تهتز فيك شعرة واحدة إذا خاطبتك وذكرتك وكأن الأمر لا يعنيك.

حين أرى اهتمامك بسيارتك وحرصك على تفقدها وصيانتها وصيانة بيتك على يد أمهر الفنيين مهما كلفك ذلك من جهد ومال، وفي المقابل أرى تملصك من الصدقة وعدم حرصك عليها وتفويتها بحجج كثيرة وضعيفة أرثي لحالك، فهذه المؤسسات الخيرية وجمعيات البر التي ترمي بالمسئولية عليها ما قامت بعد فضل الله إلا بتبرعات المحسنين الذين هم أنا وأنت وهو... فإن حرمنا أنفسنا هذا الأجر، فمن يطعم اليتامى؟ ويكسو العرايا؟.

**أخي الحبيب**: في كل مرة أجلس معك أو يجمعني بك مجلس أراك تشرق في أمور الدنيا وتغرب تتحدث عن خططك المستقبلية، عن المحلات التي تنوي افتتاحها، وعن الاستراحة وغيرها التي ستنشؤها عند تقاعدك، عن ماذا تعتزم فعله بعد التقاعد، عن السفر الذي زاحمته الوظيفة عن أشياء كثيرة تحيل مجلسنا إلى مجلس حسرة تقوم دون أن تذكر الله!!.

أنسيت أنك لم تحج فرضك؟ كم مضى من السنوات وأنت بعد لم تعمر عمرة واحدة؟ هذا الراتب الضخم ما شاء الله ماذا لو اقتطعت منه ألفًا أو اثنين وجعلتهما في صدقة جارية أو طباعة كتب أو كفالة يتيم أو غيرها من المنافذ الدعوية والإعلامية والإغاثية التي هناك من هم في أمس الحاجة لها؟.

كل هذه الأمور لم تضعها في خططك المستقبلية مع أنها هي التي ستبقى في سجلك حتى تلقى الله!! إنك تعمل - وكأن الموت بعيد عنك - للدنيا ومن أجل الدنيا، لا تجلس إلا وفي يدك ورقة تحسب وتجمع وتطرح ونسيت أن عليك ملكين يحصيان ما تقول وتفعل!!.

تصوم رمضان وتنام النهار كله وتضيع بعض الصلوات، لا تصلي التراويح ولا تجلس في المسجد لذكر الله والتسبيح قل لي - هداك الله - متى تستيقظ من غفلتك، أنسيت أننا ننام في قبورنا نومًا طويلًا فلماذا يضيع رمضان بين النوم والسهر؟!!.

أخي الحبيب شقيقي التائه: كن صريحًا مع نفسك مرة واحدة واسألها أما آن لهذا الشيخ أن يرتاح؟ ألا ترى الشيب قد بدأ يغزو سواد شعرك؟ لقد بلغت الأشد وما زالت أشرطة الغناء وأفلام الفيديو تتربع على عرش سيارتك وبيتك توليها اهتمامك وتبحث عن الجديد ولا تنسى أولادك منها؟.

تجلس على أريكتك الوثيرة، تمد رجليك، تلبس نظارتك السميكة وتقرأ لمولير وأجاثا كريستي وغيرهم ولكن لا تقرأ في المصحف ولا يخيفك هجره.

أخي... سلوتي في هذه الحياة...كم أخاف عليك من نفسك، حين تسحب الأيام رداءها المخملي وتكشف عن عوارها تنبئك بنهايتك وأُفول نعمتك وتقلب حالك. حين تفقد الأنيس والجليس والزوج والولد.. لن يصاحبك إلا عملك فانظر ما هو. ولغت في بحور الغفلة كثيرًا، وآن لك الآن أن ترسو على شاطئ الإيمان ومنتجع الإحسان لتخلو بنفسك وتراجع حساباتك إن خيرًا فخير وإن شرًا فبادر إلى التوبة ذلك الرداء الذي تتقي به برد النار وحرها.

اسكب الدمعات لتزيل عن القلب الحسرات، إن الحسنات يذهبن السيئات، وفقك الله لما يحب ويرضى(*).

«أخوك»

❀❀❀

(*) مجلة «الدعوة».

## آه لو تعلمين كم أنا طفل

أنهيت عملي.. فى نفس الميعاد من كل يوم.. انتظرت حتى انتهت هي من إنهاء عملها. تقابلت أعيننا وفهمنا أن ننتظر بعض فى نفس المكان وبالفعل وجدتها فى نفس المكان منتظرة. لا أحد يعلم بقصة حبنا إلا أنا وهى فقط.. فالموقف حرج فهي متزوجة وأنا متزوج ولكن وجدنا معًا ما لم نجده في أزواجنا. هي تعانى من قسوة زوجها ومعاملته الجافة.. وأنا أعاني من سلبية زوجتي وعدم إحساسها بى وانشغالها الدائم بالأولاد.. حتى أني كنت أتمنى أن أعود طفلًا حتى تعاملني مثلهم.

تقابلنا في نفس المكان ثم ذهبنا إلى حديقة في مكان هادئ وليس منعزلًا.. جلسنا ولكن هذه المرة لم يكن الكلام مثل سابق الكلمات ولم تكن النظرات كما عاهدتنا النظرات. فنحن في طريق نهايته غامضة وأنا أكره الغموض.. هي تعرف أنها لن تترك زوجها لأنها حامل منه.

وأنا أعرف أنني لن أترك زوجتي لأني منجب منها طفلان ولكن .... ما النهايـــة؟ فاجأتني بالسؤال الذي أخرجني من حالة اللاوعي التي كنت فيها نظرت إليها عاجزًا عن الإجابة وأنا أعرف أن النساء تكره الرجل العاجز.. يجب أن نضع حدًا لمقابلاتنا!!! نظرت إليها في ذهول.. وأنا أعلم أن النساء تملل الرجل المذهول، تركتني ومضت ... لم أكن أعرف ماذا أفعل.. أو ما الذي يجب فعله في هذا الموقف ولم أجد نفسي إلا أمام منزلي.

دخلت متوقعًا أن أجد المنظر الطبيعي الذي اعتدت أن أراه كل يوم.. شجار بين الأولاد.. ثم شيء يشبه النساء يخرج من المطبخ ورائحة الطعام تفوح من كل ركن من أركانها التي لا أعلم متى آخر مرة سكنت فى أحدها و.... ولكنى لم أجد شيئًا من

هذا.. وجدت المنزل هادئًا تمامًا كمكان لم يسكنه أطفال من قبل.. وجدت أنواره خافتة.. وشممت رائحة عطرة جذابة تملأ المكان.. هرولت إلى خارج المنزل كي أتأكد أنه منزلي..... بالفعل إنه هو. ثم دلفت إلى المنزل ثانية وأوصدت الباب.. ووجدتها أمامي.. نعم وجدتها... لم أكن أعلم من قبل أنني متزوج من ملكة جمال.. إنها هي وزوجتي متزوجها من خمس سنوات ولم أكتشف جمالها مثل اليوم.

سألتها متلعثمًا عن الأولاد..أجابت: عند أختها وسيمكثون أسبوعًا. خطر فى بالى أنني سأقضي أسبوع عسل من جديد ولكنى طردت الفكرة من رأسي حتى لا أصاب بصدمة الواقع، سألتها عن الطعام.. أجابت: مجهز منذ نصف ساعة كل ما تشتهيه.. والحلو جاهز بعد الطعام سألتها: أين كنت من زمان؟؟؟.. قالت.. لا لم تقل بل اقتربت.. وهمست في أذني: «كنت بجانبك دائمًا ولكنك لم تكن تراني ولكن اليوم قررت أن أفتح عينيك على ما لم تره من سنوات».

وجذبتني من يدي وأخذتني إلى المائدة وأخذت تضع الطعام في فمي كالطفل الصغير، ما أجمل الإحساس بأن تعاملك زوجتك كطفلها فهي في هذه الحالة تحبك حبًا بلا حدود بلا مقابل عكس أن تحبك كزوجها فالحب هنا مختلف فهي في هذه الحالة تريد المقابل منك حبًا أكثر، لأول مرة من سنوات أشعر برغبة عارمة في تناول الطعام بل في تناول أي شيء تقدمه لى هذه الحورية، وأخذت آكل من يدها كمن لم يأكل من قبل... آه ياسيدتى لو تعلمين كم أنا طفل صغير وكنت أحتاج إلى هذا منذ زمن طويل.. مازلت أسأل وأتساءل أين كنت من زمن طويل؟؟؟؟ لم أشعر بالوقت ولا بالطعام بل أخذت أتلذذ بإحساس الطفولة الجميل. وما أن انتهيت من تناول الطعام حتى وجدتها تسرع وتحضر إناء به ماء وأخذت تغسل يدي وفمي.

يـا لهـذا الـشعور الـسي سـيدي العظـيم.. كـم أنتـي عظيمـة يـازوجتى!!!! أشعر الآن برغبة عارمة فى الموت حبًا بين ذراعيهـا، لا أسـتطيع أن أصـف لكـم كيـف كانت ليلتنا لم أشعر بكوني رجلًا مثل اليوم، واستيقظت صباحًا وذهبت إلى عمـلي بعـد أن ودعتني زوجتي وداعًا حارًا، وكنت طوال الطريق أتذكر ما دار بيننا بـالأمس، كـل شئ يدعوني إلى طلب إجازه لمدة أسـبوع لقـضائها مـع تلـك المخلوقـة الرائعـة.. مـع زوجتي، وصلت مكتبي وتذكرت هي ..ياااااااااه.. كم كانت غائبـة عنـى بـالأمس لم أتذكرها ثانية واحدة.. لم تخطر على بالى.. ولكن يجب أن أنهى علاقتنا.. يجـب أن نـضع النهاية.. يجب أن أدخل إليها وأخبرها بـأن النهايـة قـد حانـت وأن كـل شيء انتهـى.. ويجب... لكن لم تكن هي جالسة على مكتبها كالمعتاد.. ماذا حدث؟؟؟؟؟.

لم أهتم.. ودخلت إلى المدير وقدمت له طلبًا لإجازة لمدة أسبوع.. استغرب المدير فأنا الموظف الوحيد الذي لم يتقدم بطلب إجازة منذ سـنوات ولكنـه وافـق. عـدت إلى المنزل وآثار ليلة الأمس تسير بجانبي وأحلام الإجازة تتطاير من حـولي ولكـن لم أجـد زوجتي.. لا أثر لها.. رن جرس الهاتف.. كانت هي... قالت بصوت يخنقه البكاء: لقد حضرت سيدة اليوم إلى المنزل وقالت: إنها زوجتك وأخبرت زوجي عن كـل مـا كـان يدور بيننا من سنوات.. لقد تسببت فى فضيحة وقام زوجي بطردي من المنزل بملابس البيت وطلقني أمام الجيران، أغلقت سماعة الهاتف مذعورًا والذعر آخر شيء أحسست به حيث وجدت ورقة على الفراش فيها: عذرًا يا سيدي.. انتهت المـسرحية بـالأمس.. أنتظر ورقة الطلاق(*).

«زوجتك»

---

(*) موسوعة القصص الواقعية.